السبت 31 تشرين الأول 2020
العدد 4187 السنة الخامسة عشرة
Samedi 31 Octobre 2020 no 4187 15ème année

24 صفحة
1000 ليرة

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com

كلمات

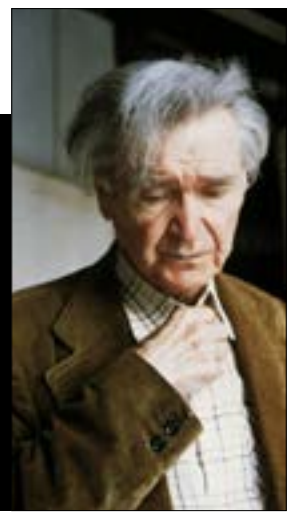

إميل سيوران
الكتابة ثأراً

مفاوضات الترسيم: تنازلات «شكليّة» ترضي العدوّ... وتصلّب في المضمون يزعج واشنطن [2]

ثلاث عقَد تؤخّر تأليف الحكومة [4]

طريق ترامب الطويل:

فلوريدا تحسم السباق

[12 ـ 13]

لا تزال الولايات التي اهدت ترامب قبل اربع سنوات اصوات الهيئة الناخبة للفوز بالرئاسة متردّدة (أ ف ب)

فلسطين

تعاضدٌ بين العدوّ و«دولة البنوك»:
الأسرى محرومون رواتبهم؟

10

تقرير

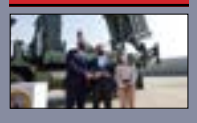

هجوم سيبراني يغرق «إسرائيل» في العتمة؟

14

كورونا

اللقاح الروسي ينتظر موافقة «الصحّة العالميّة»
أوروبا تحت الإغلاق

15

قضية اليوم

مفاوضات الترسيم: تنازلات «شكليّة» ترضي العدوّ... وتصلّب في المضمون يزعج واشنطن

لا يوفّر الأميركيون والإسرائيليون فرصة إلا ويستغلّونها لخدمة أجندة أوسع من مسألة ترسيم الحدود، وفي المفاوضات التي تجرى في الناقورة، يحاول العدو وحلفاؤه مراكمة النقاط، التي يبدو بعضها شكليّاً، لفتح باب الحوار على ما هو أبعد من «التقني». أما في المضمون، فيسير الوفد اللبناني على «الخط المستقيم». ما أزعج السفيرة الأميركية والوفد الإسرائيلي المفاوض في الناقورة

ميسم رزق

«غداء بين اللبنانيين والإسرائيليين في الناقورة»، «بوفيه مفتوح على شرف الوفدين اللبناني والإسرائيلي في الناقورة»... تعدّدت العناوين والخبر واحد. خبرٌ تعمّدت جهة ما تسريبه، لهدف محدّد: الإيحاء بوجود «خبز وملح» بين فريقين.

كان واضحاً أن العدوّ الإسرائيلي - لحظة إعلانه عن وفده المفاوض في الناقورة - لا يكتفي بعملية ترسيم تقنية على الحدود مع لبنان. لذا أحاطها بخطوات تفخيخية، كانت تتطلّب من الدولة اللبنانية تجنّبها شكلاً، تحت أي عنوان أو ظرف. من ذلك، رفع مستوى التمثيل للوفد الإسرائيلي من عسكري - تقني إلى سياسي، إذ جرى تلغيمه بشخصيات سياسية حكومية رفيعة المستوى. لبنان يومها بلع الطعم الأول. أضاف الى وفده شخصيتَين مدنيتَين، هما: الخبير في نزاعات الحدود نجيب مسيحي وعضو هيئة إدارة قطاع النفط وسام شباط. وكان الاتجاه أيضاً نحو توسيع الوفد ليضمّ كلاً من مدير مكتب وزير الخارجية المستشار هادي الهاشم، والمدير العام لرئاسة الجمهورية أنطوان شقير، الذي كان مقرراً أن يترأس هو الوفد، قبل سحب اسميهما بسبب اعتراض حزب الله وحركة أمل.

لا يُلام العدوّ، وحليفاه على طاولة التفاوض (واشنطن والأمم المتحدة). أُتيحت لهم الفرصة لخدمة أجندة أوسع من مسألة ترسيم الحدود، فاقتنصوها. بل يُلام الجانب اللبناني إن سمح بذلك. فالغداء الذي اقترحته الأمم المتحدة ليس من بنات أفكارها حتماً، ولا هو إجراء عابر في مفاوضات لا يتعدّى وقتها ساعات ثلاثاً، ويُمكن الاستغناء فيها عن وجبة، مع العلم بأن الوفدين لم يجتمعا على طاولة غداء واحدة، بل كل منهما تحت خيمة منفصلة عن الأخرى. غير أن المشكلة هي في أصل هذا الإجراء الذي يهدف الى التأسيس لجوّ «وئامي»، أو الإشارة إليه، تمهيداً لخطوات لاحقة ستستغلّها «إسرائيل» للتسلّل أكثر فأكثر، وتقديم المفاوضات كمحادثات سلام. وهذه الخطوات، مهما كانت شكلية أو هامشية، توجب على الوفد اللبناني رفضها لقطع الطريق على ما هو أخطر، بدلاً من التردد بين الـ«لعَم»، إذ إن رفضها يعزّز موقف لبنان من المفاوضات مباشرة. أما التساهل المرة تلو المرة، فسيحقق مطلب الفريق الآخر، لأن «من حام حول الشبهات أوشك أن يقع فيها».

هذا في الشكل، أما في المضمون، فيسير الوفد اللبناني على «الخط المستقيم». تعمّدت مصادر الجيش تسريب أن الأجواء في الجولتين الثانية والثالثة للتفاوض، اللتين عُقدتا يومَي الثلاثاء والأربعاء، كانت «إيجابية». إيجابية سرعان ما دحضتها صحيفة «الشرق الأوسط» السعودية، كما وسائل الإعلام الإسرائيلية، نقلاً عن مصدر في وزارة الطاقة في تل أبيب أشار إلى أن «حكومته ترفض البحث في الطلب اللبناني الجديد لتوسيع نطاق المنطقة المختلف عليها في الحدود البحرية. وأن هذا الطلب اللبناني يرمي إلى السيطرة الكاملة على حقلَي غاز إسرائيليين في البحر الأبيض المتوسط وهو لا يتلاءم مع المطالب التي طرحها لبنان قبل 10 سنوات». وأضاف إن «المفاوضين اللبنانيين في رأس الناقورة فاجأوا الوفد الإسرائيلي بطرحهم خريطة جديدة تبيّن أنهم يطالبون ليس فقط بمساحة 850 كيلومتراً المختلف عليها، بل طالبوا بزيادة 1430 كيلومتراً إضافية، داخل المنطقة الإسرائيلية في المياه الاقتصادية»، وقد أدى ذلك إلى «جدل ساخن بين الوفدين، وأبلغ الإسرائيليون رفضهم مجرد التباحث في هذا المطلب».

المفاوضات التي رَحَلت جلستها الرابعة إلى 11 تشرين الثاني المقبل تُحاط بتكتّم شديد. لكن المعلومات تؤكّد أن الجانب الإسرائيلي رفض الأمر، وأكد أن المفاوضات يجب أن تكون على أساس الـ 860 كيلومتراً مربعاً، علماً بأن بيان الجيش اللبناني قبل بدء التفاوض كان حاسماً في هذه النقطة: التفاوض انطلاقاً من نقطة الـ b1 (رأس الناقورة)، من دون احتساب الأثر الكلي للجزر. ما يعني عملياً أن لبنان يُطالب بأكثر من المنطقة «المتنازع عليها»، ويصل في مطالبته الى نصف حقل «كاريش». فهل تُعلّق المفاوضات؟ وماذا في يد لبنان من أوراق حتى يستخدمها؟

هنا، تجدّر العودة الى اقتراح رئيس الجمهورية العماد ميشال عون بإقرار مرسوم جمهوري يحدّد مساحة لبنان في البحر بشكل أحادي، ويُرسل هذا الترسيم الى الأمم المتحدة لتثبيته وبدء التفاوض على أساسه، وهو يقضي بزيادة مساحة لبنان حوالى 1430 كيلومتراً مربعاً. لكن المرسوم لم يصدر. اليوم يعود هذا الطرح للتداول من جديد كورقة ضغط. إذ بحسب المعلومات، فإن الجانب اللبناني يتّجه في حال رفض الوفد الإسرائيلي الانطلاق من هذه النقطة إلى الترسيم الأحادي وتحديد هذه المساحة وإبلاغها الى الأمم المتحدة، على أن تُقرّ بمرسوم فور تشكيل حكومة الرئيس سعد الحريري. كما يُمكن لبنان أن يستند الى قانون البحار لضرب وجهة النظر الإسرائيلية التي تعتبر صخرة «تخيليت» جزيرةً يُمكن احتساب تأثيرها على خط الحدود، علماً بأنها صخرة صغيرة.

ويبدو أن إصرار الجانب اللبناني على مساحة تفوق ما حددته الولايات المتحدة أزعج الوسيط الأميركي. وقد دفع ذلك بالسفيرة الأميركية دوروثي شيا الى زيارة بعبدا، التي قصدها أيضاً ممثل الأمين العام للأمم المتحدة يان كوبيتش، وقد ناقش الضيفان مع الرئيس عون في لقاءين منفصلين، موضوع المفاوضات. وبينما ذكرت رئاسة الجمهورية في بيان أن «اللقاء مع السفيرة الأميركية تم خلاله استعراض العلاقات بين البلدين وسبل تطويرها، ومسار المفاوضات غير المباشرة لترسيم الحدود البحرية الجنوبية»، أشارت مصادر مطلعة الى أن «شيا وكوبيتش لم يكونا راضيين عما طرحه الوفد اللبناني، لأن ذلك سيطيل أمد المفاوضات، بينما تريدها واشنطن سريعة». ولفتت المصادر إلى مطلب أميركي «بالعودة الى التفاوض على المساحة التي حددت وفق مبادرة السفير فريدريك هوف، أي الـ 863 كيلومتراً مربعاً».

ليست هي المرة الأولى التي تحاول فيها السفيرة شيا الضغط على لبنان. فقد بلغ بها الأمر سابقاً حدّ التدخل قبل أيام من انطلاق عملية التفاوض لإجبار الوفد اللبناني على التفاوض المباشر، على الرغم من أن «التفاوض غير المباشر» كان أحد شروط اتفاق الإطار الذي تمّ التوصل إليه بين رئيس مجلس النواب نبيه بري والأميركيين. وهي لم تتأخر في إجراء اتصالات بقيادة الجيش لإقناعها بذلك، إلا أن طلبها جوبه برفض مطلق.

> **تدخّلت شيا قبل أيام من انطلاق المفاوضات لأجل أن تكون مباشرة على عكس ما نصّ عليه اتفاق الإطار**

> **شركة شيفرون الأميركية تقدّمت بعرض لتحصيل رخصة للتنقيب عن النفط والغاز في المنطقة المحاذية للحدود**

أصل الغداء محاولة لتأسيس جوّ «وئامي» بين الوفدين أو الإشارة إليه (أ ف ب)

تهويل إسرائيلي: فرص نجاح المفاوضات أقلّ من 50 بالمئة

يحيى دبوق

رفع العدوّ الإسرائيلي، أمس، من مستوى ضغوطه على الجانب اللبناني بعد الجولة الثالثة من المفاوضات (غير) المباشرة لترسيم الحدود البحرية بين الجانبين، مشيراً عبر تسريبات «مصادر مطّلعة» الى أن «نجاح عملية التفاوض لم يعد مرتفعاً، لأسباب يقف خلفها الوفد اللبناني المفاوض».

والواضح أن «إسرائيل» تنقل التفاوض من مقر الأمم المتحدة الى الإعلام عبر التسريبات، متسلّحة بتهديد مبطن بأن تمسّك لبنان بمواقفه من شأنه إفشال المفاوضات، ظناً منها أن التلويح بإنهاء التفاوض، أو فشله، يدفع الجانب اللبناني إلى حلول تتيح له بدء التنقيب عن الغاز، مهما كانت الأثمان والتنازلات.

وفقاً للتقارير العبرية، أمس، واستكمالاً للتهويل بإمكان فشل المفاوضات، ورد (على قناة «كان») أن «إسرائيل لا تفاوض لبنان وفقاً لادعاءات، بل وفقاً لدلائل واضحة مبنية على مسوغات قانونية»، مع التشديد على «أنها تنازلت عن جزء من حقّها المائي لتسهيل عملية التفاوض واحتراماً لموقف الأمم المتحدة من الحدود».

وهذا الادعاء أيضاً يُعدّ تفاوضاً في مستوى ثان، علني يخالف الالتزامات التي تحددت مع اتفاق بدء التفاوض بين الجانبين، بأن تكون الجولات، وما يرد فيها، بعيداً عن الإعلام.

مع ذلك، يبدو أن موقف «إسرائيل» التفاوضي في مواجهة ما ورد عن الوفد اللبناني بعدما عرض حقه في المنطقة البحرية، يستدعي من تل أبيب نقل المعركة التفاوضية إلى الرأي العام، مع اتهام لبنان بأنه يتسبب في إفشال العملية التفاوضية. وهذا الاتجاه هو واحدة من نتائج وضع «إسرائيل» نفسها أسيرة نموذج تفكير مسبق، مبني على الظن بأن حاجة لبنان إلى استخراج الغاز على خلفية أزمته الاقتصادية، يمكنها من فرض إرادتها عليه، وإن عبر التهويل. وكان مصدر إسرائيلي، وصفه الإعلام العبري بأنه مطّلع على تفاصيل الجولات الثلاث من المفاوضات، قد قال (قناة «كان») إن فرص نجاح التفاوض لم تعد كبيرة وهي لا تتجاوز نسبة الخمسين بالمئة، موضحاً أنه «رغم الاتفاق على جولات جديدة الشهر المقبل، إلا أن الجولة الأخيرة شهدت استفزازاً من الوفد اللبناني، الذي بالغ في عرض تمديد الحدود كما يراها باتجاه إسرائيل».

وذكر المصدر أن الجانب اللبناني عرض خريطة عدّتها تل أبيب استفزازية، «إذ مدد الحدود أكثر باتجاه الجنوب نحو المياه الإسرائيلية، في تعارض واضح»، كما ورد عن المصدر، «مع الخريطة التي قدمها لبنان الى الأمم المتحدة قبل عشر سنوات»، في إشارة منه الى إيداع لبنان عام 2010، الأمم المتحدة الإحداثيات الجغرافية للجزء الجنوبي لمنطقته الاقتصادية الخالصة.

مقابل ذلك، شدد المصدر على «تجاوز إسرائيل حقها»، إذ قال إن الوفد الإسرائيلي عرض خطاً يدفع الحدود أكثر باتجاه الشمال، مشدداً على أن هذا الخط جاء مبنياً على حجج ودلائل. مع ذلك، ودائماً وفقاً للمصدر، «لم يكن العرض الإسرائيلي لخطّ الحدود المدّد شمالاً باتجاه لبنان مطلباً تفاوضياً إسرائيلياً، بل مجرد عرض، ذلك أن إسرائيل تحترم الخط الذي رسمته الأمم المتحدة»، في إشارة الى الخط الأزرق البري وفقاً لما تراه تل أبيب. وقال إن «إسرائيل ترغب أيضاً في أن يحترم الجانب اللبناني ذلك ويمتنع عن إيجاد خلافات جديدة والعودة إلى الخط الأصلي».

عين أميركا على المليارات

صحيفة «ذا ماركر» الاقتصادية العبرية، أشارت في تقرير أمس الى الأهمية الاقتصادية للمنطقة «المتنازع عليها»، وهي حسب التسمية الإسرائيلية البلوك 72، تنبع من كميات الغاز الموجودة فيها، إذ «وفقاً لوزارة الطاقة (الإسرائيلية)، تبيّن في اختبارات أولية للمنطقة، كانت قد أجريت العام الماضي، أنها تحوي خزاناً من الغاز الطبيعي يشبه جيولوجيا مكامن الغاز في أماكن أخرى قريبة من المنطقة نفسها، مثل حقلي كريش وتمار الغازيين، ما يعني غازاً تقدر قيمته بمليارات الدولارات».

أشارت الصحيفة الى أن هذا الغاز هو الذي يدفع الجانب الأميركي إلى إنجاح المفاوضات، إذ لديه مصالح اقتصادية يسعى الى تحقيقها عبر إيجاد حلول للنزاع بين الجانبين، من شأنها أن تمكّن واحدة من الشركات الأميركية من التنقيب عن الغاز في المنطقة: «للأميركيين مصالح اقتصادية في هذا المجال، إذ أعلنت وزارة الطاقة الإسرائيلية بداية تشرين الأول، أن شركتين تقدمتا بعروض لتحصيل رخصة التنقيب عن النفط والغاز في المنطقة البحرية الإسرائيلية المحاذية للحدود مع لبنان، وإحداهما هي شركة شيفرون الأميركية، التي تعدّ من أقوى وأكبر ست شركات في العالم في مجال النفط والغاز».

تقرير

نصر الله يدعو فرنسا إلى مُعالجة الخطأ: أجواء تأليف الحكومة جيّدة... من دون مبالغة بالإيجابية

في ذكرى المولد النبوي، القى الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله كلمةً دافع فيها عن المُسلمين في العالم الذين يُحمَّلون وزر أعمال إرهابيين ينتمون الى الدين الإسلامي. أدان الجرائم التي وقعت في فرنسا، مُذكّراً في الوقت نفسه السلطات الفرنسية بأنّها واحدة من حكومات الغرب التي غذّت الفكر الإرهابي. وفتحت أمامه الحدود ليُقاتل في سوريا والعراق، والآن بدأ يرتدّ عليهم

«يوم طرح الفيلسوف الفرنسي، روجيه غارودي، نقاشاً علمياً وعرض أرقاماً وقدّم دراسة أكاديمية حول الاستغلال السياسي للمحرقة اليهودية، رفع القضاء الفرنسي دعوى ضدّه، تمّت محاكمته والتشهير به، حُكم عليه بالسجن. هل هذه حُرية التعبير التي تتحدّثون عنها؟»، سأل الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله، تعليقاً على الأزمة القائمة بين السلطات الفرنسية والمُسلمين في العالم، تنديداً بما اعتبره هؤلاء نشرَ رسومات تُسيء إلى النبيّ مُحمّد. هذه المُشكلة التي «بدأت مع نشر رسومات مُسيئة للنبي، ثم تطورت إلى مجموعة أحداث، ومنها ذبح أستاذ التاريخ». بالنسبة إلى نصر الله، السلطات الفرنسية «أقحمت نفسها ومعها فرنسا، وتُريد أن تُقحم كلّ الاتحاد الأوروبي، في معركة مع المُسلمين لأسباب واهية وأحياناً غير مفهومة». وبدل أن «تُبادر السلطات إلى معالجة الأمر واستيعابه، للأسف أعلنت حرباً وأخذها العنّاد بأن تُقارب الموضوع بأنّه حرية تعبير وتُكمل بالرسوم الساخرة. ما هي الرسالة التي تُقدمونها (السلطات الفرنسية)؟ ونحن لا نتحدث في شأن سياسي أو صراع أمني، بل في أمر يتعلّق بنبيّ مليارَي إنسان. ما هو الأمر الذي يستحق هذه التضحية منكم، عوض أن تأخذوا الأمور في صدركم؟ يقول (الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون) إنّ لديهم قِيَماً، من ضمنها حرّية التعبير، ولا يُريدون التخلّي عنها. يجب أن تُقنعوا المسلمين بأنّ هذا الادّعاء صادق لأنّ لدينا الكثير من الشواهد، في فرنسا وأوروبا، على ممارسات رسمية تمنع حرّية التعبير بل تقمعها، وفي أمور أقل حساسية من شأن كالتعرّض لنبيّ يؤمن به مليارا إنسان». وسأل نصر الله إن كان يوجد شيء اسمه حرية تعبير بالمطلق، «لماذا تقف مثلاً عند حدود السامية؟ إذا نشر أحد مستندات تمسّ بالأمن القومي، كيف تتصرّفون معه؟ إذا كتب أحد شيئاً يُؤدّي إلى حرب أهلية، كيف تتصرفون معه؟».

التعليق على التطورات الأخيرة في فرنسا أتى في مناسبة «ولادة الرسول الأعظم، وحفيده الإمام الصادق، أسبوع الوحدة الإسلامية»، فأطلّ الأمين العام لحزب الله في كلمةٍ أكّد فيها أنّه «لا يُمكن للمسلمين أن يتحمّلوا أي إهانة تتوجّه إلى الرسول العظيم، ويعتبرون أنّ الدفاع عن كرامة نبيّهم في أعلى الأولويات، التي تتقدّم على كلّ الحسابات الأخرى». أدان نصر الله حادثة مدينة «نيس» الأخيرة، حيث قام رجل مُسلم بقتل ثلاثة أشخاص وجرح آخرين. «نُدينها بشدّة، ويرفضها الإسلام ولا يجوز أن يحسبها أحد على الدين الإسلامي. لا يجوز تحميل جريمة ارتكبها شخص مُحدّد لدين الشخص، أو لأتباع الدين الذي ينتمي إليه هذا الشخص»، قال نصر الله، سائلاً: «لو قام شخص مسيحي بارتكاب جريمة، وحصل ذلك سابقاً في فرنسا، هل يصحّ أن يخرج أحد ويقول إنّ من يحمل مسؤولية هذه الجريمة هو السيد المسيح أو الدين المسيحي؟ عندما يتحدّث الفرنسيون عن الإرهاب الإسلامي، أو الفاشية الإسلامية، هذا غير موجود. من يرتكب الجريمة هو وحده المُجرم». صحيحٌ أنّ بعض المُسلمين يُسيئون أيضاً بأعمالهم إلى دينهم، «ولكن لا يُبرّر لكم أن تُسيئوا لنبّينا أو مقدّساتنا. الأنبياء، الرسل، مُقدّسات الأمم، يجب أن تُحترم حتى لو خرج من داخلها من لا يحترمها».

أمّا بعد الإدانة والتوضيح، وعوض «تحميل الإسلام والأمّة الإسلامية مسؤولية الأعمال الإرهابية، تعالوا نبحث معاً عن مسؤوليتكم أنتم عن هذه الأعمال والجماعات. هناك فكر تكفيري وإرهابي يتبنّى القتل بمجرّد الاختلاف في أي تفصيل، ويرتكب جرائم وحشية، هذا الفكر أنتم قمتم بحمايته». وهذه «الأنتم» تضمّ، بحسب نصر الله، الإدارة الأميركية والحكومات الفرنسية والأوروبية. وذكّر العالم الغربي بأنّه «قدّمتم للفكر التكفيري كلّ التسهيلات في العالم. أنتم سهّلتم مجيء المجموعات الإرهابية إلى سوريا والعراق، حتّى أصبح لها تجربة وخبرة وروح قتالية. أنتم تُفاجَأون بوجود عمليات قتل؟ هذا بدأ في مناطقنا. من فعل ذلك؟ الذين دعمتموهم أنتم، وفتحتم لهم الحدود... أدعوكم إلى أن ترجعوا إلى أرشيف 2011 - 2012، قلنا لكم - وخصوصاً الأوروبيين - أن لا تكونوا جزءاً من هذه الحرب، لا تُدافعوا عن هؤلاء... لأنّ هذه المعركة ستخسرونها، وهذا الفكر سيرتدّ عليكم. وقلنا التهديد الأكبر على أوروبا لأنّ الولايات المتحدة بعيدة جدّاً. لم تقبلوا، واعتبرتم أنّكم ستنتصرون في هذه الحرب. يجب أن تبحثوا عن مسؤوليتكم أنتم. لا تُحمّلوا المسؤولية لمن لا مسؤولية له. في أفغانستان قمتم بذلك، ودفعتم الثمن في 11 أيلول 2001. وتُكررون الأخطاء نفسها».

> **نصر الله: ستعاون وتُسهّل قدر المستطاع تأليف الحكومة**

توجّه نصر الله في كلمته إلى السلطات الفرنسية، موضحاً أن «لا أحد في العالم الإسلامي يبحث عن عداوات جديدة، بالعكس، المُسلمون يعملون ليُخفّفوا عداوات في العالم ويُبعدوا شبح حروب يدفعون أثمانها دائماً. يجب أن تُفكّروا بمعالجة هذا الخطأ الكبير ولا يكون ذلك خضوعاً للإرهاب. بل إنّ الإصرار عليه والذهاب في مواجهات هو الخضوع والانجرار مع مطالب الإرهابيين الذين يُريدون تفجير كلّ الساحات في العالم».

في سياق المناسبة نفسها، ولادة النبي محمد، كانت لفتة من السيّد نصر الله إلى الشعب اليمني المُحاصر. «بالرغم من الحرب المُدمّرة، من الحصار والتجويع والأوضاع المعيشية الصعبة والأوبئة والأمراض... نجد هذه الجماهير الضخمة تجتمع في المُدن اليمنية من أجل إحياء ذكرى مولد رسول الله والدفاع عنه. أليس هذا رسالة قوية يجب أن يتوقّف أمامها العالم؟». اليمنيون أيضاً «يُعلنون تمسّكهم بالقضية الفلسطينية والدفاع عن شعب فلسطين، في مقابل المُرفّهين والغارقين في ملذّات الدنيا الذين لم يدخلوا أساساً حرباً مع العدو، ويُسارعون إلى التخلّي عن فلسطين والتطبيع مع «إسرائيل». اليمنيون يؤكّدون وقوفهم إلى جانب دول وحركات المقاومة في مواجهة المشاريع الأميركية والصهيونية، وهم أحوج من يجب أن يُدافع عنهم». وشدّد نصر الله على أنّه «آن الأوان للحرب على اليمن أن تقف».

ملفات عديدة كان نصر الله يُريد الحديث عنها، أمس، لكن بسبب ضيق الوقت قرّر تأجيلها إلى 11 تشرين الثاني، فسيتكلّم بمناسبة «يوم شهيد حزب الله». غير أنّه لم يختم من دون المرور سريعاً على موضوع تأليف الحكومة الجديدة في لبنان. فأكّد أنّ «أوضاعنا المالية والاقتصادية والاجتماعية لا يُمكن أن تُدار من دون حكومة، والاستمرار في حكومة تصريف أعمال». المُعطيات التي يملكها هي «أنّ الأجواء جيّدة، من دون أن نُبالغ بالإيجابية». من جهة حزب الله، «سنتعاون ونُسهّل قدر المستطاع»، مُشيراً إلى أنّ الأخبار المتداولة عمّا يتعلّق بمواقف وشروط حزب الله «بعضها غير دقيق وبعضها لا أساس له من الصحّة. نحن إيجابيون، وسنبقى. الوقت ليس للمشاحنات والتناقشات، بل للتفاهم والتعاون والانفتاح».

ختام كلمة الأمين العام، مع «ارتفاع الأرقام الخطيرة للإصابات بـ«كورونا» يبدو أنّ الكثير من الناس يتعايشون مع الموضوع. هذا التساهل هو غير إنساني وأخلاقي وشرعي، هو إثم وحرام ومعصية. نحن في لبنان لا يُمكن أن نُكمل هكذا. الموضوع مسؤولية إنسانية ترتبط بالجميع». فالمطلوب ليس أكثر من «التزام الكِمامة، والتباعد الاجتماعي، والتعقيم. ممكن التعايش من خلال الالتزام، وإلا فنحن ذاهبون في مسار خطير جدّاً».

في الواجهة

حكومة الحريري تنتظر مَن يُنزلها عن سلّم التنازلات

بانقضاء الأسبوع الأول. وهو حتى الآن تحت خط المهلة المعقولة لتأليف الحكومة - يتعمّد الرئيس سعد الحريري، ويجاريه رئيس الجمهورية، إحاطة جهوده بصمت كامل، مع دحض أو نفي كل ما يُشاع عمّا بلغه أحدهما، أو كلاهما، حيالها

هل يكرر بري ما اعتاده: لا يسلم أسماء الوزراء الشيعة إلا في الدقيقة الأخيرة؟ (هيثم الموسوي)

نقولا ناصيف

حينما لا تكون للصمت فائدة، لا يعود سلاحاً ذا مغزى. ما يُراد منه في الغالب، إما إخفاء تقدّم يحتاج إلى المزيد لاستكماله وحرصاً على عدم تخريبه، أو لا تقدّم مطلقاً كان المحاولة لا تزال في النقطة الصفر. ذلك هو الانطباع المزدوج، المتناقض، عن مراحل تأليف الحكومة ما بين قصر بعبدا وبيت الوسط.

خلافاً لما كان يرافق تأليف الحكومة في العقد ونصف العقد المنصرم، قلّة لقاءات الرئيس المكلف برئيس الجمهورية، وكثرتها بالكتل الرئيسية الشريكة ضمناً في جهود التأليف، قبل الوصول إلى محطته الأخيرة. ما يجري الآن معاكس: أربعة اجتماعات بين الرئيسين في أسبوع واحد دونما الإفصاح عن مدى التقدّم الذي أحرزاه، فيما لا ذكر علنياً في أحسن الأحوال لاتصال الرئيس المكلف سعد الحريري بأيّ من الكتل ذات الشأن. في الموازاة تكثر التكهنات والترجيحات بلا أي سند جدّي. بسذاجة فسّر البعض الكتمان بأنه استعادة لحصر التأليف بالرئيسين وحدهما تبعاً لصلاحياتهما الدستورية، بينما أدرجه بعض آخر مصيب إلى حدّ. في نطاق أن المتبقي من التأليف الذي أُنجز الأساس فيه باكراً قبل التكليف لم يعد يحتاج سوى إلى الرئيسين.

تفصح عن هذا الغموض وتناقض المعلومات معطيات من خارج دائرة الرئيسين:

أولها، عدم التفاهم نهائياً بين الحريري ورئيس الجمهورية ميشال عون على عدد الوزراء. يصرّ الأول على 18 وزيراً كي يقتصر التمثيل الدرزي على مقعد واحد يحلّ فيه مَن ينتدبه النائب السابق وليد جنبلاط، فيما يتمسّك الثاني بحكومة العشرين كي يكون للدروز مقعدان أحدهما لجنبلاط والآخر وعد عون النائب طلال ارسلان بإعطائه إياه، وقيل إن الوعد هو حقيبة الإعلام، وإن ارسلان ينام على حرير هذا الوعد. لا تكمن الأهمية في الحقيبة، مقدار الدلالة التي ترمي إليها، وهي وجود شريك درزي ثانٍ وتأكيد حضوره التمثيلي في مجلس الوزراء وتنظيم توازن القوى داخله.

لم تعد أسماء الاختصاصيين مهمة للغاية هنا، كون الأصل في التفاوض هو توزيع الحقائب على الكتل التي تسمّي وزراءها. كذلك توزيع الحقائب على الطوائف غير ذي أهمية. ما خلا استثناء حقيبة المال. كون الكتل تقارب حصصها على أنها ممثلة طوائفها أيضاً.

ثانيها، رغم المعلوم أن الاتصال مقطوع تماماً بين الحريري ورئيس التيار الوطني الحر النائب جبران باسيل، مباشرة أو عبر وسطاء، إلا أن إبقاء الالتباس من حول الحصة المسيحية، يعزّز الاعتقاد بأن باسيل ليس غائباً عن التفاوض، مستمداً دوره من عون، المفاوض الفعلي للحريري في التأليف.

يشير ذلك إلى تبدّل ملموس في الآلية الدستورية التي ترعاها المادة 53، عندما تقسّم مراحل تأليف الحكومة إلى ثلاث غير متداخلة، كلّ منها منفصلة عن الأخرى ولها توقيتها: أولاها الاستشارات الملزمة لتسمية رئيس مكلف ينشأ في نهايتها كيانه الدستوري المؤقت من غير أن يمسي بعد رئيساً لمجلس الوزراء، إلا بعد أن يصدر المرسوم الذي يوقّعه رئيس الجمهورية منفرداً. ثانيتها الدور المنفرد الذي يضطلع به الرئيس المكلف بإجراء مشاورات ثم بانصرافه إلى وضع مسودة حكومته، من غير أن يكون لرئيس الجمهورية أي دور في هذه المرحلة، وإن اقتضى أن يزوّره الرئيس المكلف لإطلاعه على مشاوراته تلك، إذ يقتصر وضع التصور على الرئيس المكلف. ثالثتها عندما يحمل الرئيس المكلف مسودته إلى رئيس الجمهورية، فيمسي الدور لكليهما على قدم المساواة، ما يلزمهما الاتفاق كي يقترن صدور مرسوم التأليف بتوقيعهما وإلا لا مرسوم، إذّاك يصبح لرئيس الجمهورية دور مضاعف، مرتبط بموافقته على المسودة أو تعديلها أو رفضها كي يقبل بالتوقيع. سوى ذلك يبقى الرئيس المكلف مكلفاً أو يبادر إلى الاعتذار.

ما يجري اليوم مخالف لدورة المادة 53. قبل أن يضع الحريري مسودته، بات شائعاً أن مفاوضه الوحيد على الحصة المسيحية هو رئيس الجمهورية الذي يمثّل نفسه، مقدار تمثيله حزبه الذي يشكل الكتلة النيابية الأكبر والكتلة المسيحية الأكبر في البرلمان. لأن عون يشغل الآن ثنائية الدور، كرئيس للدولة وكمعنيّ بالحصة المسيحية، لا يعود مهماً بالنسبة إلى باسيل أن يكون في صورة الحدث، ولا يحتاج بالضرورة إلى مصالحة بينه والحريري. تأكيداً على ذلك بدأت تتردد معلومات عن توزير أسماء مسيحيين في حقائب أساسية على صلة مباشرة بعون أو بباسيل، من غير أن يعني استئثارهما بالحصة المسيحية كلها.

ثالثها، يفوت البعض ما يبدو تفصيلاً في المرحلة الأخيرة من التأليف، قبل وقت قصير جداً من صدور مرسوم الحكومة، وهو ليس تفصيلاً مقدار ما أضحى في صلب تقاليد اللعبة: قبل إعلان التشكيلة الحكومية وطبع المراسيم الثلاثة، يقتضي توجه رئيس مجلس النواب نبيه بري إلى قصر بعبدا للاطّلاع على الصيغة النهائية، خالية من أسماء الوزراء الشيعة التي يحمل بنفسه لائحتهم معه. هو المفوّض باسم الثنائي الشيعي تسليم الأسماء إلى رئيس الجمهورية والرئيس المكلف في هذا الوقت بالذات وليس قبلاً، لئلّا تخضع مرة للمساومة وأخرى للمقايضة كأسماء. بذلك تُصوَّر أسماؤهم على أنها لا تُمس أبداً، تقليد كهذا ليس جديداً ولا طارئاً، ولا حتماً شكلياً. يحمل في دلالته مضموناً إضافياً، هو وجود شريك ثالث في التأليف هو الشريك الشيعي يمثّله على الدوام بري. من دون موافقته المعنوية في أحسن الأحوال، لا مراسيم لأن لا أسماء وزراء شيعة. في خانة التسليم بهذا التقليد وقع الحريري، كما أسلافه جميعاً، وجاروا الدور الشيعي الثالث في التأليف. البعض يتذكّر أن بري كان أول من غادر قصر بعبدا في 15 شباط 2014، قبل دقائق من طبع مرسوم حكومة الرئيس تمام سلام، وأشرف على التسوية المفاجئة غير المتوقّعة في الدقيقة الأخيرة بإعطاء حقيبة الداخلية إلى النائب نهاد المشنوق والعدل إلى اللواء أشرف ريفي. في ذلك الوقت، كانت الطائرة التي ستقلّه إلى الخارج أدارت محرّكاتها تنتظر وصوله إلى المطار.

ذهب الحريري أخيراً إلى أبعد من ذلك. سلفاً، قبل أن يُكلَّف سدد ثمن التكليف، بأن رضي بإعطاء حقيبة المال إلى حركة أمل وترك تسمية الوزراء الشيعة إلى مرجعيتهم (حركة أمل وحزب الله)، ناهيك بتعهّده حصر التمثيل الدرزي بجنبلاط. ثمرة التنازلين المبكرين هذين - أول درجات سلم التنازلات - أيّد الزعيم الدرزي تكليفه.

ليس خافياً ما بين تشرين الأول 2019 عندما استقال، وتشرين الأول 2020 عندما أُعيد تكليفه، أن الحريري صعد على سلالم الشروط والتنازلات مرة بعد مرة، يجرّب واحدة تلو أخرى. أوقع ثلاث «ضحايا» على الطريق هي الوزير السابق محمد الصفدي وسمير الخطيب والسفير مصطفى أديب، ضحاياه هو الذي رشّحها للتكليف ثم تخلّى عنها، كمَن استساغ لعبة ثم ضجر منها كي يطلب أخرى. من حيث قدّم - هو وليس ثالث أولئك - أثمن التنازلات إلى الثنائي الشيعي من أجل الوصول إلى السراي.

أداء كهذا أضحى كافياً له اليوم، وإن مع حكومة اختصاصيين، كي تطلب الكتل الأخرى امتيازاً شبيهاً، أو أقلّ بقليل من الذي أُعطي إلى الثنائي الشيعي، بتسميتها وزراءها. الحجة التي يتسلّح بها أولاً بأول رئيس الجمهورية.

> **سرّ صمت التأليف: إما الكثير تحقق أو لا شيء**

المشهد السياسي

ثلاث عقد تؤخّر تأليف الحكومة: الحريري لن يعتذر

هل يُقدّم سعد الحريري تركيبة من 18 وزيراً «اختصاصيين» و«غير مُستفزّين» للقوى السياسية إلى رئيس الجمهورية، لتُشكّل قاعدة تفاوض؟ مصادر مُقرّبة من الحريري تكشف أنه يبحث في هذا الخيار، بعدما تراجع منسوب الإيجابية بقرب تأليف الحكومة. في مقابل بروز إشارة إيجابية من السعودية بأنّ «المرحلة تتطلب وجود الحريري، لا غيره»

المُشكلة ليست في وجود عقدة واحدة تؤخّر تأليف الحكومة الجديدة برئاسة سعد الحريري، بل بأنّ «مجموعة العقد» لم تُحلّ بعد، ما يدفع جهات رئاسية تُشارك في المفاوضات إلى الحسم: «الحكومة لن تُبصر النور قريباً». هذه النفحة من السوداوية تُشكّل خلاصة الاتصالات المُستمرة بين القوى الرئيسية في الساعات الماضية، من دون أن تكون مُنزّلة. فكما كلّ الأحداث في لبنان، من الممكن أن يطرأ على المشهد مُعطيات تؤدّي فجأةً إلى صدور التشكيلة الحكومية. مثلاً، قد لا يكون ما نشرته صحيفة «المدينة» السعودية أمس «مؤشراً رئيسياً» يُبنى عليه، لكنّه يُعبّر عن وجهة نظر داخل المملكة. فما كُتب أنّ «المرحلة تتطلب وجود الحريري، لا غيره، على رأس الحكومة المقبلة، بالنظر إلى تمتّعه بعلاقات دولية واسعة وثقة لدى المؤسسات الدولية والدول ذات الثقل الاقتصادي، وعلى رأس أولئك روسيا والولايات المتحدة. كلّنا أمل بأن يتخطّى الحريري معضلة صعوبة تأليف الحكومة، ويتعاون معه الذين لم يُسعُوه ليجتاز لبنان مرحلة الخطر». وأضافت الصحيفة إنّ «الوقت قد حان للتوافق الوطني ووضع الكتف على الكتف للخروج من الأزمة، رغم التحديات التي ستواجه الحريري، والتي تتعلق بكيف ستكون آلية التوافق على تعيين الوزراء».

«الأمور جيّدة، من دون المبالغة في الإيجابية»، قال الأمين العام لحزب الله، السيّد حسن نصر الله في الكلمة التي ألقاها أمس. إشارته إلى عدم المُبالغة بالتفاؤل تأتي بعد أيام من تسريب أجواء ومعطيات لا تتطابق تماماً مع الواقع، «من دون أن يُفهم لماذا تقديم آمال كاذبة للرأي العام»، تُعلّق مصادر مُتابعة لعملية التأليف، مُضيفةً إنّه بعدما كان رئيس الجمهورية يتولّى المفاوضات علناً نيابةً عن التيار الوطني الحرّ، «دخل النائب جبران باسيل في الساعات الأخيرة على الخطّ مباشرةً».

بداية العثرات من عدد الوزراء غير المُتّفق عليه. الرئيس ميشال عون مُصرّ على أن تتضمّن الحكومة 20 وزيراً، فينال مُمثلو الطائفة الدرزية المُعارضون للحزب التقدّمي الاشتراكي مقعداً، ويُعطى مقعد آخر للطائفة الكاثوليكية. خصوم عون يتّهمونه بأنّه بهذه العملية يُريد ضمان الثلث المُعطّل في حوزته. في المقابل، يعتقد الحريري أنّ حكومة من 18 وزيراً هي الصيغة الأمثل، علماً بأنّ الجهات الرئاسية لا تعتبرها «عقدة حقيقية، بل تُحلّ فور الاتفاق على الأمور الأخرى».

العقدة الثانية هي في المُداورة بين الطوائف في الوزارات السيادية. خلافاً لكلّ الأجواء المُسربة، لم تُحلّ المسألة ببقاء وزارة المالية من حصّة الطائفة الشيعية، مقابل المُداورة في الحقائب السيادية الأخرى. رئاسة الجمهورية تعتقد أنّه إمّا المُداورة حقّ على الجميع، وإمّا يبقى التوزيع على ما كان عليه في الحكومات السابقة. إصرار «فريق العهد» على هذه النقطة سيخلق مشكلاً له مع كلّ من رئيس مجلس النواب نبيه بري وسعد الحريري، وقد يُؤخّر التأليف أسابيع طويلة، ولكنّ القبول بالمداورة سيخلق أيضاً مُشكلة للحريري، إذ سيُشكّل مادّة لـ«المُزايدة السنّية» عليه. وقد بدأت الاعتراضات ترتفع حول «تسليم وزارة الداخلية إلى التيار الوطني الحرّ، مع بقاء وزارتَي الدفاع والعدل من حصّته». وقد بدأ الحريري يسمع أصواتاً «تنصحه» بأنّه لا يُمكن أن «يُسلّم» مع رئاسة الجمهورية

> **تنفي المصادر أن يكون حزب الله قد تحدّث عن مُبادلة حقيبة الصحة بالتربية**

ـ التيار العوني، «وينسى» وجود رئيس تيار المردة، سليمان فرنجية، الذي يجب أن «يُرضيه» بحقيبة وإلا يُعرّض «الغطاء المسيحي» شبه الوحيد الذي يملكه للخطر. أما العقدة الثالثة فهي توزيع الحقائب الخدماتية، «من يحصل على حقائب الصحة والأشغال والطاقة...»، وتنفي المصادر أن يكون «حزب الله قد تحدّث عن مُبادلة حقيبة الصحة بالتربية، فهو لم يطالب بأيّ من الحقيبتين».

ما العمل إذاً؟ مُقرّبون من الحريري يؤكّدون أولاً «عدم نيّته الاعتذار». الرجل مُكمل في المهمّة التي «ناضل» لأجلها، وهو يبحث حالياً فكرة «تقديم تشكيلة من 18 وزيراً لرئيس الجمهورية، غير مُستفزين ومعروفين في مواقعهم، مُمكن أن يُطلق عليهم تسمية اختصاصيين، ولكنّهم في الوقت نفسه مُقرّبون من القوى السياسية». يشرح المُقرّبون أنّ الحريري «لن يقوم بذلك بخلفية فرض حكومة أمر واقع، على العكس من ذلك هو مُتمسّك بالإيجابية والتعاون مع الجميع، ولكنّ تشكيلته قد تُشكّل قاعدة تفاوض، بالنتيجة لا يُمكن أن يجلس مُنتظراً حلّ العقد من دون المُبادرة». وفي هذا الإطار، أشارت قناة «الجديد»، أمس، إلى لقاء سرّي بين عون والحريري عُقد أول من أمس، لكنّ مصادر بعيدا تقول إنّه «لو حصل مثل هذا اللقاء لكنّا أعلنّا عنه بعد مغادرة الحريري».

(الأخبار)

تقرير

«زين» تُطرد من «جنّة» الخلوي

انتهت موقعة تسلّم الدولة لقطاع الخلوي. كان يوم أمس مفصلياً للوصول إلى هذه النهاية. ماراتون حقيقي أجري بين شركة «زين» من جهة، وقضاء العجلة ووزارة الاتصالات وهيئة القضايا في وزارة العدل من جهة أخرى. أسفر عن خروج الشركة المشغّلة لـ«ميك2» من القطاع بقوة القانون ومن دون موافقتها

إيلي الفرزلي

كانت الجمعية العمومية المعنيّة بالتسليم والتسلّم مقرّرة عند العاشرة صباحاً، لكن المساهمين استفاقوا على رسالة من مجلس إدارة «تاتش» يعلمهم فيها أن اجتماعاً عُقد عند الثامنة صباحاً، وتقرّر خلاله تأجيل الجمعية إلى موعد يُحدد لاحقاً، «بالاستناد إلى الظروف التي تحقق مصلحة الشركة». الاجتماع عُقد، بحسب المحضر، بحضور العضوين نديم خاطر (ممثّل رئيس مجلس الإدارة بدر الخرافي أيضاً) ولارا الحداد، إضافة إلى المحامية كوليت حايك التي كُلفت بأعمال أمانة السر. مبرّرات التأجيل كانت ثلاثة: تعثّر عملية نقل الأجراء وإشكالات تتعلق بعقود بوالص التأمين، وإقدام المساهم وسيم منصور على طلب أمر على عريضة من قاضي الأمور المستعجلة في بيروت من أجل حذف بند المصادقة على الحسابات من جدول الأعمال وإلزام المساهم بنك عودة للخدمات الخاصة بعدم إعطاء براءة ذمة.

في المحصّلة كان جلياً أن التأجيل يعود إلى رفض «زين» تسليم القطاع من دون الحصول على براءة الذمة. وهي اعتبرت في رسالتها أن «مسألة المصادقة وبراءة الذمة هي محل اعتبار أساسي وحق قانوني مشروع».

إدارة الشركة كانت قد أيقنت أن قرار القضاء المستعجل سيصدر لمصلحة منصور، بما يلزمها تسليم القطاع من دون الحصول على براءة ذمة. فالمحامي نزار صاغية قدّم يوم الثلاثاء، بالوكالة عن منصور، استدعاءً طلب فيه اتخاذ قرار مؤقت وإحاطة بأمر على عريضة بشطب المصادقة على حسابات 2017 و2018 و2019 وحتى آخر أيلول 2020، من جدول أعمال الجمعية العمومية لشركة «ميك2» وإلا إلزام شركة بنك عودة للخدمات الخاصة بالامتناع عن الموافقة على إبراء الذمّة لكونها تؤدي بشكل جليّ إلى الإضرار بمصالح الشركة والمال العام. فالمدعي سبق أن تقدم، في 13 آب الماضي، بدعوى حراسة قضائية على الشركة بفعل الفراغ الحاصل في الإدارة والمخالفات المتكرّرة فيها، كما بشكوى جزائية ضد رئيس مجلس إدارة الشركة بدر الخرافي والمدير العام إمري غوركان والوزيرين السابقين محمد شقير وجمال الجراح بموضوع عقدَي الإيجار والبيع لمبنى «تاتش»، وما تضمناه من صفقة أدت إلى ضياع وهدر ما يزيد عن خمسين مليون دولار من عائدات الشركة.

تولّت القاضية كارلا شواح الملف، ويوم الأربعاء طلبت من المدعى عليها تقديم لائحة جوابية. فدعت إدارة «ميك2» إلى ردّ الاستدعاء لعدم صحّته وعدم قانونيته وعدم استناده إلى أسباب واقعية، معتبرة أن عقدَي الإيجار والشراء لمبنى تاتش قد تمّا بقرار من وزارة الاتصالات.

ولأن الدولة هي مالكة القطاع ومعنية بالدعوى، فقد تقدّمت هيئة القضايا في وزارة العدل، صباح أمس، بلائحة جوابية، في موضوع الحراسة القضائية على الشركة، أكدت فيها على ضرورة انعقاد الجلسة لأجل إتمام عملية التسليم والتسلّم بين الشركة والدولة، وتحفّظت على بند

> **قضاء العجلة يقرّ تسلّم «تاتش» من دون إبراء ذمة «زين»**

إعطاء براءة الذمة، طالبة شطبه من جدول الأعمال كونه «يخفي مصالحة لا يجوز إجراؤها دون العودة إليها وفقاً لما تفرضه المادة 20 من قانون تنظيم وزارة العدل». كما أكدت ، أنه لا يجوز التذرّع برفض إعطاء براءة الذمة لعدم إجراء التسليم والتسلّم». ولم تقف هيئة القضايا عند هذا الحد بل طلبت تعيين مراقب مالي للإشراف على الجلسة والقيام بتدقيق مالي وتدقيق جنائي في حسابات الشركة.

ولمّا كانت هيئة القضايا تمثل مصالح الدولة، التي تملك أكثر من 99 في المئة من أسهم الشركة، فهذا يعني أن أغلب المساهمين اجتمعوا على عدم إعطاء براءة الذمة للشركة. وبناءً على المعطيات التي تضمّنتها الدعوى، أصدرت القاضية شواح قراراً بإلزام «ميك 2»، «سحب البند 3 المتعلق بإبراء ذمة رئيس وأعضاء مجلس الإدارة وبعدم إدراج هذا البند في أي جدول أعمال لاحق قبل البتّ بالدعوى الجزائية المقدّمة من منصور بشأن مبنى تاتش».

وبخلاف، ما ادّعته الشركة في سعيها إلى تأجيل الجمعية العمومية، أكدت شواح أن العقد لا يشترط إعطاء براءة ذمة للشركة لتسليم القطاع إلى الدولة. وفيما تعتبر مصادر معنية أنه كان بالإمكان إعطاء مخالصة مالية لأعضاء مجلس الإدارة، دوناً عن براءة الذمة للشركة، خاصة أن المادة 6 من العقد الموقّع بين الشركة والدولة لا تربط بين إعطاء مخالصة سنوية لأعضاء مجلس الإدارة وبين إبراء ذمة الشركة أشارت مصادر قانونية إلى أنه «طالما توجد دعوى جزائية، فلم يعد بالإمكان إجراء مخالصة أو إبراء ذمة لكل من يمثّل الشركة».

بالمحصّلة، وبالرغم من قرار مجلس إدارة «ميك2» تأجيل انعقاد الجمعية العامة، وبالرغم من أن القرار لم يكن أُبلغ للشركة قبيل بدء الاجتماع، إلا أن جميع المعنيين كانوا قد صاروا على علم بمضمونه، ولا سيما وزير الاتصالات طلال حواط، الذي انتقل إلى مركز الشركة. وأصرّ على عقد الجمعية العمومية، متسلّحاً برأي حاسم من هيئة القضايا في وزارة العدل، وبقرار نافذ لقضاء العجلة. وبناءً عليه، حضر بنك عودة إضافة إلى المساهمين شربل قرداحي وعلي أيوب (عضوا مجلس الإدارة)، فأُقرّ التسليم والتسلّم، ثم تمّ تعيين مجلس الإدارة الجديد، الذي سبق أن أعلن حوّاط عنه في حزيران الماضي، والمؤلف من حياة يوسف رئيسة مجلس الإدارة، شربل قرداحي، ماجد عبد الجواد، علي ياسين وجواد نكد. بعد ذلك، عقد مجلس الإدارة الجديد أول اجتماع له بحضور وزير الاتصالات. ومساء عمّمت الموارد البشرية في الشركة رسالة على الموظفين، أبلغتهم فيها انتهاء إجراءات التسليم والتسلّم، مؤكدة على استمرار آلية نقل الموظفين بالشروط التعاقدية نفسها، والتي أعاد وزير الاتصالات ومجلس الإدارة الجديد التأكيد عليها. كما أبلغتهم أن رواتب شهر تشرين الأول، إضافة إلى bonus ستُدفع الأسبوع المقبل.

> **«وعي»: لنقض براءة الذمّة الممنوحة لأوراسكوم**

احتفلت مجموعة «وعي»، التي تابعت ملف الخلوي منذ بداياته بتحركات واحتجاجات على الأرض، أمس، بثلاثة انتصارات: القضاء اللبناني انتصر للرأي العام وللمال العام وللمصلحة العامة بقرار نوعي لقضاء العجلة، استرداد إدارة «ميك 2» من قبل الدولة ومنع منح براءة الذمة لشركة «زين». وجاء في بيان للمجموعة أنها تحركت اليوم (أمس) للضغط على الجمعية العمومية لشركة «ميك 2» كي تسلّم إدارة الشركة إلى الدولة بعد طول مماطلة، ولمنع منح براءة ذمة لشركة زين. وأشارت إلى أنها فوجئت بقرار تأجيل انعقاد الجمعية الذي «هدفت شركة زين من ورائه إلى ابتزاز الدولة، إذ كانت قد اشترطت منحها براءة ذمة مقابل تسليمها الإدارة». واعتبرت المجموعة أنه كان من المستحيل منح الشركة براءة الذمة قبل إجراء مخالصة وكشف حسابات وتدقيق، وخصوصاً في ظل وجود دعاوى ضدها أمام القضاء، يتهم عديدة: أهمها: الهدر والاختلاس وتبييض الأموال. وأعلنت استمرارها في التحرك والضغط لمنع إعطاء براءة ذمة في ظل وجود دعوى جزائية وعدم إتمام المخالصات وفق الأصول. كما أشارت إلى متابعة ملف انتخاب مجلس الإدارة الجديد برئاسة حياة يوسف.

وهنأت المجموعة اللبنانيين بالقرار القضائي الجريء لقضاء العجلة والذي اتخذته القاضية كارلا شواح ومنعت بموجبه أي نقاش حول منح براءة ذمة لشركة زين. كما دعت القضاء إلى نقض براءة الذمة التي سبق أن منحتها الدولة لشركة أوراسكوم، خلافاً للأصول وتفريطاً بالمال العام.

تقرير

ملف الملاك يعود إلى الجامعة اللبنانيّة: وحدهم الوزراء «زمطوا»

فاتن الحاج

منذ أيام قليلة، أعاد وزير التربية في حكومة تصريف الأعمال طارق المجذوب ملف الأساتذة المرشّحين لدخول ملاك الجامعة اللبنانية (يضم أكثر من 1100 أستاذ) إلى رئاسة الجامعة من دون ذكر الأسباب، على أن تعود الجامعة وترفعه إلى الوزير الجديد. وعلمت «الأخبار» أن الملف خال من أسماء الأساتذة المتفرغين - الموظفين في القطاع العام الذين لم يقدموا، أخيراً، استقالاتهم من وظائفهم.

المفارقة أن تتزامن الخطوة مع «تسريب» مرسومين جمهوريين لدخول الملاك صدرا في أيلول الماضي، وخاصين بكل من وزيري الصحة والعمل في حكومة تصريف الأعمال والأستاذين المتفرّغين في الجامعة، حمد حسن ولميا يمين، ومرسوم ثالث لرئيس الهيئة اللبنانية لسلامة الغذاء إيلي عوض الآتي من ملاك وزارة الصناعة.

> رابطة المتفرّغين: لا استنسابية في تطبيق الأعراف

المراسيم الثلاثة أثارت حفيظة الأساتذة ورابطتهم لجهة اعتبارها «تصرفاً استنسابياً وزبائنياً ومعيباً بحق الجامعة وأهلها»، بحسب ما جاء في بيان الهيئة التنفيذية لرابطة الأساتذة المتفرغين التي أعلنت الإضراب يومَي الثلاثاء والأربعاء المقبلين مع اعتصام ينفذه الأساتذة عند الحادية عشرة من قبل ظهر الأربعاء، أمام الإدارة المركزية للجامعة.

ومع شيوع كلام بأن الأعراف المستقرّة تقضي بإدخال الأساتذة المتفرغين، (الذين انتقلوا إلى موقع آخر)، ملاك الجامعة لحفظ حقوقهم ومن ثم وضعهم خارج الملاك ريثما يعودون إليها، خرجت مصادر مطلعة على قانون الجامعة لتقول إنه «في حال تعيين الأستاذ المتفرغ وزيراً أو نائباً، يقدم طلب تعليق التفرغ أو تجميده وحين تنتهي ولايته يعود متفرغاً في الجامعة كما كان في السابق، كما تبرم الجامعة عقد تدريس بالساعة معه، لحفظ حقه وعدد سنوات الخدمة له».

(مروان بو حيدر)

إلا أن رئيس الجامعة فؤاد أيوب رأى أن «إدخال الوزيرين إلى ملاك الجامعة هو حق لهما منذ توزيرهما، لسبب أن لا أحد يعلم ماذا يحل بالأستاذ الجامعي بعد انتقاله إلى موقع آخر. وهذا يحدث دائماً لحفظ الحقوق وإنّ كان المرسوم تأخّر أشهراً». واستغرب أيوب «الهجوم على وزيرين ناجحين، وهذا مؤشر غير سليم».

وكانت الجامعة رفعت ملف المرشحين لدخول الملاك إلى وزير التربية قبل استقالة الحكومة «من أجل أن يكون مكتملاً من دون نواقص»، كما قال أيوب، فيما كان يفترض أن يحصل ذلك منذ أكثر من سنة.

تقرّ الرابطة، بحسب عضو الهيئة التنفيذية علاء غيث، بأن دخول الوزيرين المتفرغين الملاك لدى توزيرهما هو عرف، لكن «ما لا نتقبّله أن يُطبق هذا العرف استنسابياً، إذ يقتضي العرف أيضاً إدخال المتعاقدين الذين يتقاعدون بالملاك، وهذا ما لم يحصل في العامين الماضيين، خلافاً للعرف، ولا يبدو أنه سيحصل، علماً أن هناك 50 أستاذاً ومنهم الأستاذ المتقاعد من كلية التكنولوجيا علي المعوش الذي مات بجائحة كورونا بلا معاش تقاعدي لأنه لم يدخل الملاك، فيما أسرته ليس لديها أي تغطية صحية». وشرح أنه للمرة الأولى يُطلب إعداد جدول كامل بالمتعاقدين - المتقاعدين، رغم أن هؤلاء يتقاعدون في أوقات مختلفة ويصدر عادة مرسوم فردي خاص بكل منهم، علماً بأن هذا الأمر لا تتحمّل مسؤوليته حكومة تصريف الأعمال، إنما الحكومة السابقة.

الإضراب، كما قال غيث، هو رسالة إلى الحكومة «التي نخشى أن تطبق شروط البنك الدولي لجهة إعادة النظر في نظام التقاعد، وبالتالي خسارة هؤلاء المتقاعدين لحقوقهم»، وهناك أيضاً أكثر من 1100 أستاذ ينتظرون دخول الملاك وآخرون يترقّبون التفرغ منذ سنوات. وعلى جدول أعمال الإضراب موازنة الجامعة وصندوق التعاضد التي لا تكفيهما لأداء مهمّتيهما.

كورونا

عدّاد كورونا إلى 40 ألفاً: لبنان في حالة حرجة

قضى اليومان الماضيان على أي أملٍ يمكن التعويل عليه في مواجهة فيروس كورونا. المعركة تتجه يوماً بعد آخر نحو خسارة البلاد، مع الزيادة الجنونية في عدد الإصابات كما الضحايا، والتي بلغت خلال اليومين الماضيين ذروة قاتلة مع تسجيل 3684 إصابة (1751 أمس و1933 أول من أمس) و23 ضحية دفعة واحدة، رفعت عداد الضحايا إلى 625.

رسمياً، بات لبنان في دائرة الخطر مع وصول العداد الإجمالي إلى 40 ألفاً ومع الزيادة المطّردة في أعداد الحالات الحرجة التي وصلت إلى 270 حالة بزيادة 25 حالة عما كانت عليه أول من أمس. ووفق المصادر الطبية، يعدّ هذا المؤشر الثاني بعد مؤشر الوفيات لتقدير المسار الذي يسلكه الفيروس في البلاد، من دون أن يعني ذلك استثناء مؤشرات أخرى لها الأهمية نفسها، ومنها معدل الحدوث لكل 100 ألف نسمة، والذي بلغ 373 حالة خلال فترة الأسبوعين المنصرمين، وهو معدل خطر جداً على ما يقول وزير الصحة العامة حمد حسن، ونسبة إيجابية الفحوص التي تخطت الـ 12%. وهي نسبة تضع لبنان في المرتبة الثانية في العالم من حيث نسبة الإصابات.

ماذا تعني تلك المؤشرات؟ بحسب رئيس لجنة الصحة النيابية، عاصم عراجي، لم يعد ثمة مجال للتفاؤل بعدما بات «الوضع الصحي حرجاً». وما يزيد الطين بلة اليوم أن البلاد تدخل موجة ثانية من تفشي الوباء «وليس هناك من أسرّة عناية متاحة»، هذا ما قاله ـ حرفياً ـ الوزير حسن... مع نأي المستشفيات الخاصة إلى الآن عن المواجهة.

وهذا ما يتطلب تدخلات فورية صارت هي الخرطوشة الأخيرة في مواجهة الموت الذي تستعدّ له البلاد مع بداية فصل الشتاء. ويأتي على رأس تلك التدخلات «الزيادة العاجلة في أعداد أسرّة العناية الفائقة وفتح أقسام لمرضى كورونا بأسرع وقت في جميع المستشفيات الحكومية والخاصة، على حدٍ سواء»، على ما يقول عراجي.

تأتي هذه التدخلات، بحسب عراجي، في سلّم الأولويات اليوم، وإن كان لا يستبعد إمكانية العمل، بالتوازي، على اتخاذ قرارات أخرى «مصيرية»، ومنها الإقفال العام لمدة تكفي لمحاصرة الفيروس. إلا أن هذا الخيار لا يزال مثار جدل، وخصوصاً في ظل الواقع الاقتصادي الذي تعيشه البلاد من جهة، وفي ظل استحالة تحقيق الهدف كما هو مرسوم إذا ما استمر التعاطي المجتمعي مع فيروس كورونا، كما هي الحال اليوم. ورأى عراجي أن هذا الخيار «ضروري، لكنه لن يأتي بالنتيجة المطلوبة من دون تطبيق الإجراءات الوقائية والالتزام الكامل والشامل من الجهات والقطاعات كافة».

لم تعد ثمة خيارات أخرى متاحة، فإما التجهّز وإما «فلنستعدّ للأسوأ»، يقول عراجي، وخصوصاً إذا ما أخذ بالحسبان أن «لقاح كورونا لن يصل إلى لبنان قبل منتصف العام المقبل، وذلك بعد التأكد من أنه آمن وفعّال بالدرجة الأولى».

إلى ذلك، لا تزال الإقفالات العامة تجرجر مدناً وبلدات بشكل يومي، وقد انضمّت أمس إلى اللائحة بلدتا رأس المتن وبصاليم في قضاء بعبدا اللتان أقفلتا إقفالاً تاماً لمدة أسبوع، بقرار من محافظ جبل لبنان. كما أصدر محافظ بعلبك ــ الهرمل بشير خضر قراراً قضى بإقفال جميع المحالّ والمؤسسات الخاصة والمقاهي والمطاعم العاملة في مدينة بعلبك ابتداءً من اليوم حتى مساء الأحد في الثامن من تشرين الثاني المقبل، وذلك من الساعة الخامسة مساء حتى صباح اليوم التالي.

(الأخبار)

بنك بيبلوس ش.م.ل

رأس المال المدفوع ٦٨٩,١١٣,١٩٨,٤٠٠ ل.ل.
الأموال الخاصة ٢,٨٨٣,٩٣٧,١١٧,١٨٨ ل.ل.
الأشرفية، جادة الياس سركيس، تلفون: ٣٣٥٢٠٠ (٠١)، فاكس: ٣٣٩٤٣٦ (٠١)، ص.ب. ٥٦٠٥ – ١١ بيروت – لبنان

البيانات المالية المجمّعة كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٠

بيان المركز المالي المجمّع
كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٠

	غير مدققة	مدققة
الموجودات (القيم بملايين الليرات اللبنانية)	٣٠ أيلول ٢٠٢٠	٣١ كانون الأول ٢٠١٩
الموجودات		
الصندوق ومؤسسات الإصدار	١٥,٨٤٩,٥١٤	١٤,٩٤١,٦٤٦
المصارف والمؤسسات المالية	١,٥٧٥,٣٢٢	٢,٥٤٥,٢٨٨
قروض للمصارف والمؤسسات المالية واتفاقيات إعادة بيع	١٩٢,٢٦١	٣٥٦,٧١٠
أدوات مالية مشتقة	٦٣٤	٧,٣
أدوات مالية مصنفة بالقيمة العادلة مقابل حساب الأرباح والخسائر	٦٠,٤٣٠	٨٣,٥٥١
صافي التسليفات والقروض للزبائن بالكلفة المطفأة	٤,٢٩٤,٨٨٤	٦,٧١٣,٨٢٥
صافي التسليفات والقروض للجهات المقربة بالكلفة المطفأة	١٥,٠٠٥	٢٤,٥٥٦
المدينون بموجب قبولات	٥١,٨٧٣	١٥٤,٨٦٠
أدوات مالية مصنفة بالكلفة المطفأة	٦,٠٧٢,٦٩٣	٧,٤٢٢,٥٣٦
أدوات مالية مصنفة بالقيمة العادلة مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	١٧٥,٥٧٢	٢٤٢,٩٨٤
أصول ثابتة مادية	٣٣,٢٧٣	٣٣٧,٠٠٦
أصول ثابتة غير مادية	١٨,٦١٠	١٩,٨٤٠
أصول مأخوذة استيفاء لديون	٧٣,٧٣٦	٧١,٦٨٢
موجودات أخرى	٧٦,٣٣٩	١٢٥,٦٠٨
مجموع الموجودات	**٢٩,٤٧١,١٩٦**	**٣٣,٠٤٠,٧٩٥**

المطلوبات وحقوق المساهمين
(القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	٣٠ أيلول ٢٠٢٠	٣١ كانون الأول ٢٠١٩
المطلوبات		
مؤسسات الإصدار	١,٥١٥,٦٥٤	١,٥٢٨,٧٩٦
المصارف والمؤسسات المالية	١,١٠٤,٥٢٣	١,٢٣٩,٣٩٢
أدوات مالية مشتقة	١,٦١٢	٩٠٨
الودائع وحسابات الزبائن الدائنة بالكلفة المطفأة	٢٣,٠٢٤,٩١٢	٢٥,٩٦٨,٤٣١
ودائع وحسابات الجهات المقربة بالكلفة المطفأة	٢١٧,٣٦٧	٢٢٥,٦٣٤
مطلوبات متمثلة بأوراق مصرفية أو مالية	–	٤٤١,٨٢٨
تعهدات بموجب قبولات	٥٢,١٠١	١٥٥,١١٩
مطلوبات أخرى	٤٤٩,٩٤٤	٣٥٦,٨٠٠
مؤونات لمواجهة الأخطار والأعباء	٢٢١,٤٥	١٨٣,٣٧
ديون مرؤوسة وما يماثلها	٤٣٩,٥٧٤	٤٢٩,٧٩٢
مجموع المطلوبات	**٢٧,٠٢٦,٨٣٢**	**٣٠,٥٣٠,٠٠٧**

حقوق مساهمي المؤسسة الأم
(القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	٣٠ أيلول ٢٠٢٠	٣١ كانون الأول ٢٠١٩
الرأسمال - أسهم عادية	٦٨٤,٢٧٣	٦٨٤,٢٧٣
الرأسمال - أسهم تفضيلية	٤,٨٤٠	٤,٨٤٠
علاوات إصدار الأسهم العادية	٢٢٩,١٤	٢٢٩,١٤
علاوات إصدار الأسهم التفضيلية	٥٩١,٠٨٣	٥٩١,٠٨٣
احتياطيات غير قابلة للتوزيع (قانونية وإلزامية)	١,٠٣٢,١٨٠	١,٠٢٦,٥١٥
احتياطيات حرة قابلة للتوزيع	١٢٦,٩٣٨	١٢٤,٩٩٨
الأدوات الرأسمالية المعاد شراؤها	(٨,٧٨٧)	(٨,٩٦٧)
(خسائر) أرباح مدورة	(٩٤,٤٣٨)	٩٦,٧٢٨
فائض إعادة تقييم العقارات	٥,٦٨٩	٥,٦٨٩
التغيير في القيمة العادلة للموجودات المالية المصنفة بالقيمة العادلة مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	(٨٤,٦٢٠)	(٣٩,٩٠٩)
نتائج الدورة المالية	(٣,٦٦٥)	(١٨٣,٥٥٣)
احتياطي تحويل العملات الأجنبية	(٥٧,٩٩٣)	(٥٢,٩١٨)
	٢,٤٢٤,٥١٤	٢,٤٧٧,٨٤٣
حصّة حقوق الأقلية	١٩,٨٥٠	٣٢,٩٤٥
مجموع حقوق المساهمين	**٢,٤٤٤,٣٦٤**	**٢,٥١٠,٧٨٨**
مجموع المطلوبات وحقوق المساهمين	**٢٩,٤٧١,١٩٦**	**٣٣,٠٤٠,٧٩٥**

بيان المركز المالي المجمّع
كما في ٣٠ أيلول ٢٠٢٠ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

٣٠ أيلول ٢٠٢٠ (غير مدققة)	مصارف	زبائن	المجموع
كفالات ومطلوبات محتملة			
كفالات مالية	–	٧٤,٣٤٩	٧٤,٣٤٩
كفالات أخرى	١,٤٥٧	٤٩٥,٤٠٢	٥٩٩,٩٤٩
	١,٤٥٧	٥٦٩,٧٥١	٦٧٤,٢٩٨
ارتباطات			
اعتمادات مستندية	٣٣,٤١٢	١٢٢,٨٧٧	١٥٦,٢٨٩
تعهدات تسليف للزبائن	–	٨٩٦,٤٨	٨٩٦,٤٨
	٣٣,٤١٢	١,٠١٨,٩٢٥	١,٠٥٢,٣٣٧
٣١ كانون الأول ٢٠١٩ (مدققة)	**مصارف**	**زبائن**	**المجموع**
كفالات ومطلوبات محتملة			
كفالات مالية	–	١٤٧,٥٧٤	١٤٧,٥٧٤
كفالات أخرى	١٢٥,٧١٦	٧١,٨٣٥	٨٣٦,٥٥١
	١٢٥,٧١٦	٨٥٨,٤٠٩	٩٨٤,١٢٥
ارتباطات			
اعتمادات مستندية	١٠١,١٣٥	٢٣٨,٧٧٠	٣٣٩,٩٠٥
تعهدات تسليف للزبائن	–	١,٣٠٦,٤٥	١,٣٠٦,٤٥
	١٠١,١٣٥	١,٣٦٩,٤١٥	١,٤٧٠,٥٥٠

بيان الدخل المجمّع
للفترة المنتهية في ٣٠ أيلول ٢٠٢٠ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	غير مدققة ٣٠ أيلول ٢٠٢٠	غير مدققة ٣٠ أيلول ٢٠١٩
الفوائد والإيرادات المشابهة	١,٥٨٩,٧٩٣	١,٨٧٥,٥١٦
تنزيل: الضريبة على الفوائد	(١٢٤,٧٦٨)	(٩٠,٦٣٤)
الفوائد والإيرادات المشابهة (بعد تنزيل الضريبة على الفوائد)	١,٤٦٥,٠٢٥	١,٧٨٤,٨٨٢
الفوائد والأعباء المشابهة	(٨٩٩,٦٥٣)	(١,٥١٥,٠٨٤)
صافي الإيرادات من الفوائد	**٥٦٥,٣٧٢**	**٢٦٩,٧٩٨**
الإيرادات من العمولات	١٠٥,٠٥٣	١١٧,٩٨٤
الأعباء من العمولات	(٧,٩٦٦)	(٩,٩٤٨)
صافي الإيرادات من العمولات	**٩٧,١٤٧**	**١٠٨,٠٣٦**
صافي (خسائر) أرباح الأدوات المالية المصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل حساب الأرباح والخسائر	(٢٦,٣٣٤)	١٥,٧٤١
منها: صافي إيرادات الفوائد	١,١	١,٦٥١
أرباح متاجرة أخرى	٣٩٨,٢٣٧	–
صافي أرباح الأدوات المالية المصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	٢,٣٢٣	٢,٧٦٣
صافي (خسائر) أرباح الأدوات المالية المصنفة بالكلفة المطفأة	(٣٧,٤٨٦)	١١,٦٣١
ايرادات تشغيلية اخرى	١٥٤,٨٦٥	٤٧,٥١٠
مجموع الإيرادات التشغيلية	**١,١٥٤,١٢٤**	**٤٥٥,٤٧٩**
صافي خسائر الائتمان	(٨٣٦,٣٧٩)	(٢٥,٩٩٤)
صافي الإيرادات التشغيلية	**٣١٧,٧٤٥**	**٤٢٩,٤٨٥**
أعباء المستخدمين	(١٤٣,٥١٢)	(١٥٣,٢٧٦)
مخصصات استهلاكات وإطفاء ومؤونات الأصول الثابتة المادية وغير المادية	(١٩,٩٦٢)	(١٧,٣٥٨)
أعباء تشغيلية أخرى	(٧٣,٣٤٩)	(٩٢,٢٨٠)
مجموع الأعباء التشغيلية	**(٢٣٦,٨٢٣)**	**(٢٦٢,٩١٤)**
الأرباح التشغيلية	**٨٠,٩٢٢**	**١٦٦,٥٧١**
مؤونات لمواجهة الأخطار والأعباء	(٩,٥٧٨)	(٧,٠٩٢)
أرباح ناتجة عن استبعاد أصول ثابتة مادية	١,٣١٨	٢,٤٠٠
النتائج قبل الضريبة	**٧٢,٦٦٢**	**١٦١,٩١٩**
الضريبة على الأرباح	(٨١,٢١٩)	(٢٩,٧٤٤)
النتائج الصافية	**(١٣,٥٥٧)**	**١٣٢,١٧٥**
(خسارة)/ربح الفترة العائد إلى:		
– مساهمي المؤسسة الأم	(٣,٦٦٥)	١٢٦,٦٧٦
– حقوق الأقلية	(٩,٨٩٢)	٥,٩٠٨
	(١٣,٥٥٧)	١٣٢,١٧٥

بيان الدخل الشامل المجمّع
للفترة المنتهية في ٣٠ أيلول ٢٠٢٠ (القيم بملايين الليرات اللبنانية)

	غير مدققة ٣٠ أيلول ٢٠٢٠	غير مدققة ٣٠ أيلول ٢٠١٩
(خسارة) ربح الفترة من الأنشطة التشغيلية	(١٣,٥٥٧)	١٣٢,١٧٥
عناصر الدخل الشامل الأخرى:		
عناصر الدخل الشامل الأخرى القابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة:		
صافي خسائر غير محققة على أدوات الدين المصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	(٤٦,٦٦)	(١٢,٤٣٥)
تأثير ضريبة الدخل على عناصر الدخل الشامل الأخرى	٦,٩٨٩	١,٧٩٤
	(٣٩,٦٧٧)	(١٠,٦٤١)
فروقات تحويل العملات الأجنبية	(٧,٥٦٧)	(٦,١٣٧)
صافي عناصر الدخل الشامل الأخرى القابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة	**(٤٦,٧٤٤)**	**(١٦,٧٧٨)**
عناصر الدخل الشامل الأخرى غيرالقابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة:		
صافي خسائر غير محققة على أسهم وحصص مصنفة بالقيمة العادلة		
مقابل عناصر الدخل الشامل الأخرى	(٨,٣٩١)	(٣,٠٩٤)
تأثير ضريبة الدخل على عناصر الدخل الشامل الأخرى	١,٤٤٤	٥٢٦
	(٦,٩٤٧)	(٢,٥٦٨)
صافي عناصر الدخل الشامل الأخرى غيرالقابلة للتحويل إلى بيان الدخل في فترات لاحقة	**(٦,٩٤٧)**	**(٢,٥٦٨)**
مجموع عناصر الدخل الشامل الأخرى للفترة بعد الضريبة	**(٥٣,٦٩١)**	**(١٩,٣٤٦)**
إجمالي الدخل الشامل للفترة بعد الضريبة	**(٦٧,٢٤٨)**	**١١٢,٨٢٩**
(خسارة) ربح الفترة العائد إلى:		
– مساهمي المؤسسة الأم	(٥٤,٥٠٣)	١٠٧,٥٤٠
– حقوق الأقلية	(١٣,٠٩٥)	٥,٢٨٩
	(٦٧,٢٤٨)	١١٢,٨٢٩

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير ـ المدير المسؤول:
ابراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير:
بيار أبي صعب

■ مدير التحرير:
وفيق قانصوه

■ مجلس التحرير:
حسن عليق
إيلي حنا
أمل الأندري

■ صادرة عن شركة
أخبار بيروت

■ المكاتب بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد ـ الطابق الثامن
■ للفاكس:
01759500
01759597
■ ص.ب 113/5963

■ الإعلانات
الوكيل الحصري
ads@al-akhbar.com
01/759500

■ التوزيع
شركة الأوائل
01 /666314ـ15 ـ
03 / 828381

■ الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper

عاصمة اللاءات الثلاث تطبّع مع العدو

أسعد أبو خليل *

ليست السودان في مخيّلتي كما هي في مخيّلة أجيال عربيّة لاحقة. التطبيع بين دولة العدوّ والمحميّات الخليجيّة يختلف في الطعم والنكهة، وإن كان ومقاصده وخطورته واحدة. والتطبيع مع دولة السودان أخطرُ من التطبيع مع دول الخليج. السودان تميّزت عن الكثير من الدول العربيّة، وقد ناضلَ شعبها بالفعل للحصول على حيّز متّسع بين العائلة والدولة، وعجّت النقابات والأحزاب في حياتها السياسيّة بالرغم من سيطرة المستبدّين العسكريّين على الحكم فيها في معظم تاريخها المعاصر.

السودان الحديثة يربطها الجيل الجديد بالطاغية العسكري، عمر البشير، الذي اشتهر بحروبه في دارفور وضد التظاهر والاحتجاج. وهو مثّل سلفه، تقلّب في المواقف والتحالفات وفق مصلحة نظامه: الممانع لسنوات، ختم حياته متحالفاً مع طغاة الخليج، وشنّ الحروب ضدّ حركات مقاومة كان يدعمها في الماضي. لكنّ للسودان تاريخ خصب من النضال الشعبي الحرّ. الشعب السوداني قاد انتفاضة شعبيّة حقيقيّة ضدّ الفريق إبراهيم عبّود، في عام 1964، وكانت هذه الانتفاضة تجربة رائدة وفريدة في العالم العربي لإطاحة نظام مستبدّ. تميّزت هذه التجربة فرادةً في الستينيات في عصر الانقلابات العسكريّة (كانت السيطرة على الإذاعة هي مفتاح الانقلاب، ولهذا كانت مقرّات الإذاعات العربيّة مزنّرة بالدبّابات. ماذا يفعلون اليوم؟ هل يستولون على صفحة «فايسبوك» لإعلان انقلاب؟).

لم تكن الدعاية الصهيونيّة تحرص يوماً على الدقّة أو الحقيقة أو الموضوعيّة. وَسَمت الأكاذيب الحركة الصهيونيّة، قبل سنوات من تأسيس دولة الاحتلال. وليس هناك ما استقرَّ في دعاية الصهيونيّة في أميركا أكثر من أنّ إسرائيل هي «الدولة الديموقراطيّة الوحيدة في الشرق الأوسط». طبعاً، لم يكن هذا صحيحاً يوماً: ليس فقط لأنّ النظام الصهيوني - مثله مثل النظام الأبَرتايدي في جنوب أفريقيا - ليس نظاماً ديموقراطيّاً عادياً لأنّه يعتمد عنصر التفريق العنصري (القائم على العرق والدين) فقط، إي إنه كان ديموقراطيّاً فقط في ما يتعلّق باليهود، وليس بباقي السكان المحليّين. ثم ما فضل نظام ما، ولو كان ديموقراطيّاً، لو هو تأسّس على أنقاض وطن متجذّر لقرون طويلة؟ وحتى في ما يتعلّق باليهود أنفسهم، فإنّ النظام الإسرائيلي السياسي كان (ولا يزال) مليئاً بالنواقص. يتّخذ النظام السياسي الإسرائيلي، اليوم، المزيد من السمات الإردوغانيّة حيث تتقلّص الفروقات بين السلطات، وتتزايد قدرة الحاكم على التأثير عليها. كم مرَّ على اتهام بنيامين نتنياهو بالفساد؟ كيف كان هذا النظام ليتعامل مع متهم عربي - بهذه التهم نفسها، والتي لا يرقى الشك إلى صحتها؟ النظام السياسي الإسرائيلي في عهد بن غوريون، مثلاً، كان نظاماً تسلطياً وكان العرب يخضعون حتى عام 1966 تحت حكم عسكري (وهذا الحكم لم ينتهِ بعد عام 1966، بل تغيّر شكلاً).

لكنّ النظام السوداني، في الستينيّات، كان الأكثر ديموقراطيّةً بين الأنظمة العربيّة ومنها لبنان، حيث كان عدد من الزعماء الموارنة (المرتهنين للخارج الغربي) يتداولون السلطة في ما بينهم، وكانت سلطة الدولة تُستعمل جهاراً لضرب حركة الأحزاب والنقابات اليساريّة والقوميّة العربيّة والمخيّمات الفلسطينيّة. عاش السودان، في الستينيّات، مرحلة من الازدهار السياسي، حيث وُجدت مروحة نادرة ورائعة من التيارات والأحزاب السياسيّة التي تعايشت تحت سقف البرلمان والجامعات (لم يخلُ الأمر من مشاحنات واشتباكات بالأيدي والعصي)، هنا وهناك، بين الإخوان والشيوعيّين). والحزب الشيوعي (بلغ عدد أعضائه وأنصاره نحو مئة ألف) أضفى على الحياة السياسيّة في السودان طابعاً حيويّاً ومتنوّعاً، وإن شابت تجربة تعميم المفاهيم الشيوعيّة في السودان مسايرة مع الثقافة الشعبيّة الدينيّة، إلى درجة أنّ الشيوعيّة هناك كانت مؤمنة، ولم يشكّل ذلك حرجاً عند القادة الشيوعيّين (كان هناك رجال دين في اللجنة المركزيّة للحزب). وتواضع الحزب الشيوعي في الانتفاضة ضد عبّود، ولم يحاول الاستئثار بالسلطة (وهناك جدال بشأن إذا ما كان ذلك ممكناً له آنذاك، مع أنّ نقاباته واتحاداته كانت فاعلة في إشعال الانتفاضة ومسارها).

لا يزال السودان ماثلاً في مخيّلتي من سنوات الطفولة. وكان ذلك قبل مؤتمر الخرطوم و«لاءاته»، التي مسحت على العاصمة السودانيّة طابعاً من العزّة والأنفة بعد إذلال هزيمة 1967. كانت هناك حياة سياسيّة في السودان، وكان هناك أحزاب، فيما كانت السياسة في العالم العربي مختصرة، إما بالسلطان أو الطغمة العسكريّة. لا أحزاب في الأردن ولا أحزاب في دول الخليج، والدول التقدميّة كانت تفضّل ما تقبل به من أحزاب - هذا لو قبلتها - على مقاس مصلحة النظام. لم يكن هناك اسم يمرّ في نشرات الأخبار في تلك السنوات أكثر من اسم محمد أحمد محجوب، وزير الخارجية ورئيس الوزراء السوداني. إذا كان عبد الناصر هو الأمين العام للجماهير العربيّة ورمزٌ لتلك المرحلة من الحياة السياسيّة الخصبة والشائقة، فإنّ محمد أحمد محجوب هو وزير خارجيّتها ووسيطها. هو الذي كان يوفد من قبل عبد الناصر للتوسّط بين متخاصمين بين الأنظمة وفي داخل الدول. والدبلوماسيّة السودانيّة في تلك الحقبة، كانت مثل الدبيلوماسيّة المصريّة في زمن عبد الناصر: توفّق بين السلوك الدبلوماسي المقبول من الجميع وبين الإيمان العميق بثوابت لا تتزعزع في ما كان يُسمّى القضايا العربيّة - تلك القضايا التي حوّلها طغاة الخليج إلى بضائع للبيع في السوق الإسرائيليّة.

تلك المرحلة من الحياة السياسيّة السودانيّة التي طغى عليها ساسة وقادة ذوو سحر خاص (الكاريزما فضيلة يزخر بها شعب السودان أكثر من غيره، على ما يظهر - وإن هي ناقصة في حكامها من النميري إلى البشير إلى الطغمة العسكريّة الحاكمة التي باعت كرامة السودان مقابل طحين إسرائيلي بقيمة 5 ملايين دولار. هذه قيمة كرامة شعب السودان عند حكام الخرطوم العسكريّين). وكان قادة الحزب الشيوعي، هم أيضاً من نوع آخر من القادة و - خلافاً للشيوعيّة المشرقيّة التي ارتهنت بالكامل لإرادة السوفياتيّة - زاوجوا بين عقيدتهم وبين الالتزام بقضيّة فلسطين والوحدة العربيّة. مَن غيرهم من الشيوعيّين العرب أرسلوا متطوّعين إلى السويس خلال العدوان الثلاثي على مصر في عام 1956؟ وكان متطوّعون سودانيّون قد استبسلوا في حرب فلسطين، في عام 1948، واشتبكوا مع الجنود الصهاينة بالسلاح الأبيض في بيت دراس. لكن شابَ موقف الحزب الشيوعي «تطوُّراً» بتأثير سوفياتي وفتحاوي: كان محجوب يقول «لا مكان لإسرائيل بين العرب» في عام 1965، ثم خرج نظامه عن الإجماع العربي (الرسمي الكاذب) بشأن معارضة مبادرة السادات وحافظ على العلاقة معه. ومقابل المال، فتح بلاده أمام الموساد للمساعدة في تهريب الفلاشا من إثيوبيا. وسقط النميري في انقلاب محمد سوار الذهب، وهو عسكري محافظ، ونادر، لأنّه سلّم السلطة طوعاً للمدنيّين. لكنّ الحقبة المدنيّة لم تطل، إذ إن عمر البشير قاد انقلابه في عام 1989.

> لم يكن التطبيع السوداني ممكناً من دون مشاركة قوى «ثوريّة»، أي «قوى مدنيّة»، كما تسمّي نفسها في السودان

ما حلّ بالسودان غير ما حلّ بدول الخليج. طغاة الخليج منعوا الأحزاب والحركات وحظروا أو قيّدوا العمل النقابي. لم يتيحوا مجالاً لنمو «(مسرح) الفارق الذي يتدخّل بين العائلة والدولة»، بحسب وصف هيغل في «فلسفة الحق» للمجتمع المدني. أي إنّ تطويع المجتمع وبين إصابة الحاكم بما سمّاه جمال عبد الناصر «نوبة الدين» (في وصفه لاستغلال الدين من قبل الملك حسين في سياساته الرجعيّة). وكان دين النميري قاسياً ومتزمّتاً وصارماً، خلافاً لما عهدته الثقافة الشعبيّة للشعب السوداني (بعد سقوط النميري، تجمّع متظاهرون سودانيّون أمام الفنادق الكبرى وهتفوا: «نريد الجعّة. نريد موقف الحزب الشيوعي («تطوُّراً») بتأثير سوفياتي وفتحاوي: كان محجوب يقول («لا مكان لإسرائيل بين العرب» في عام 1965، ثم خرج نظامه عن الإجماع العربي (الرسمي الكاذب) بشأن معارضة مبادرة السادات وحافظ على العلاقة معه. ومقابل المال، فتح بلاده أمام الموساد للمساعدة في تهريب الفلاشا من إثيوبيا. وسقط النميري في انقلاب محمد سوار الذهب، وهو عسكري محافظ، ونادر، لأنّه سلّم السلطة طوعاً للمدنيّين. لكنّ الحقبة المدنيّة لم تطل، إذ إن عمر البشير قاد انقلابه في عام 1989.

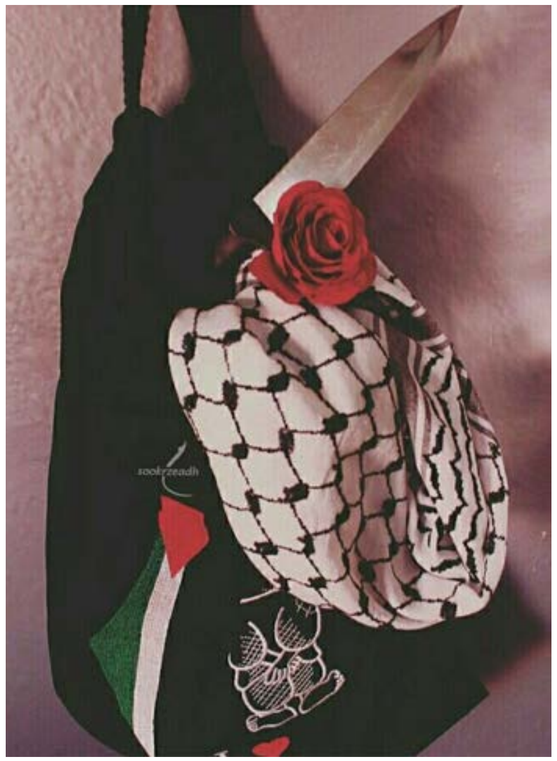

جمع نظام النميري بين الفساد الشخصي واعتراضاته على نوع التأييد السوفياتي العسكري، كي ينقلها بلسانه إلى قادة الاتحاد السوفياتي. ولم يكن اختيار الخرطوم عاصمة للمؤتمر في عام 1967 من أجل إعلان اللاءات عرضيّاً. هل كانت تجرؤ دول الخليج مثلاً أو عمّان، أو حتى بيروت، على إعلان اللاءات منها؟ موقع اللاءات كان حصرمة في عين العدو، ولم أدرك ذلك إلا في مرحلة إقامتي الأميركيّة. لاحظتُ أنّ الدعاية الصهيونيّة كانت تكرّر الإشارة إلى لاءات الخرطوم، لأنّها أزعجت العدو وعبّرت عن رفض شعبي ورسمي لشرعيّة الكيان. وأراد نتنياهو أن يُمعنَ في إذلال الشعب السوداني (والعربي)، عندما غرّد قبل أيّام ناطقاً باسم الشعب السوداني، قائلاً: «لكن الخرطوم تقول نعم - نعم لسلام مع إسرائيل، نعم للاعتراف بإسرائيل، ونعم للتطبيع مع إسرائيل». ولم يعد التطبيع على النسق الأردني أو المصري مناسباً بعد هذا الهجوم الغرامي الإماراتي العنيف نحو إسرائيل: أصبح النسق الإماراتي التحالفي هو النسق الذي ستطلبه أميركا من كلّ الدول العربيّة التي ستطبّع مع إسرائيل.

ما حدث كان درساً تقليديّاً في طبيعة السياسة الخارجيّة. التهديد والابتزاز والعصا الغليظة. مصطلح العصا والجزرة، لا يسري لأنّ أميركا تستعمل العصا فقط وتعدكم بالجزرة. هي لا تعطي جزرة إلا للطغاة التابعين. أميركا وضعت السودان أمام خيار لا تقبل بغيره: إما أن تستمرّ العقوبات على السودان وأن يستمرّ التصنيف (العلمي؟) للسودان كدولة راعية للإرهاب (بسبب دعمها لحركات مقاومة في الماضي) أو يرضخ السودان ويطبّع؟ لا، أميركا أيضاً فرضت على السودان أن يدفع ديّات لعائلات ضحايا تفجيرات بن لادن، عندما كان مقيماً في الخرطوم. لم يكن الشعب السوداني، ولا حتى النظام آنذاك، يعلم بما كان بن لادن ينوي فعله لكنّ الحكومة الأميركيّة أصرّت على حكومة السودان أن تضع في مصرف في الخارج مبلغ 335 مليون دولار قبل أن تقبل رضوخه. أميركا تريد مكافأة لها على تركيعها لشعب السودان، والطغمة العسكريّة الحاكمة (التي تورّط بعضها في جرائم حرب في دارفور) وافقت وكذبت على الشعب السوداني. يقول «حميدتي» (الذي كان مسؤولاً ليس فقط في مجازر دارفور، بل حتى في قمع تظاهرات الشعب السوداني في عام 2013، والتي راح ضحيّتها المئات) لـ«الشرق الأوسط» (جريدة التطبيع العربي الرسميّة) إنّه لم يكن هناك ربط بين إزالة اسم السودان من قائمة الإرهاب وبين التطبيع؛ أي إنّ «حميدتي» لم يلاحظ أنّ الإدارة الأميركيّة التي لا تقيم اعتباراً لأمثاله من الطغاة المطبعين قالت عكس ما يقوله، وحتى الإعلام هناك تحدّث عن الربط. حتى إنّ مسؤولين سودانيّين تحدّثوا من دون الإفصاح عن أسمائهم واعترفوا بحنق لـ«نيويورك تايمز» بضغوطات صعبة تعرّضوا لها. لم تكن الضغوطات سرّاً من الأسرار. أميركا مستعدّة لأن تجوّع الشعوب لتطوّع إرادتها. عندما صوّت مندوب اليمن في مجلس الأمن في عام 1990 بعد اجتياح الكويت، نظر إليه المندوب الأميركي، وقال له مهدّداً: هذا أغلى اقتراع لكم وسيكلّفكم. وبالفعل، عاقبت الحكومة الأميركيّة البلد الفقير بحجب مساعدات عنه. حتى حكومة الأردن نحو التطبيع في دول الخليج أسهل ممّا هو عليه في مصر أو السودان (وظهر ذلك في تغيّر مواقف كتّاب وأكاديميّين من التطبيع بين يوم وآخر). القمع في دول الخليج فعّال وعريق، ويزداد صرامة مع استعانة كلّ دول الخليج بأجهزة إسرائيليّة متطوّرة لمراقبة المواطنين وقمعهم. نتكلّم عن نظام مثل الإمارات، حيث تصل عقوبة التغريد برأي يختلف عن سياسة النظام الخارجيّة، إلى خمسة عشرة سنة سجناً. وفشلُ التطبيع في مصر على مرّ العقود، يعود إلى قدرة منظّمات المجتمع المدني - حتى تلك المخترقة من قبل النظام - على تشكيل رأي معارض، يعبّر عن موقف الرأي العام. والرأي العام العربي لا يزال معارضاً، ويقوّة، للتطبيع مع العدو، ولا يزال - حتى في دول الخليج - يعتبر إسرائيل العدو الأوّل للعرب. لكن هذه الحقيقة أزعجت نظام الإمارات المُطبّع، فطلبت من شركة «زغبي» (التي تربطها بصاحبها جون، وشقيقه جيمس، علاقة برنس - على - سياسة عمرها سنوات طويلة) طبخ أرقام جديدة على عجل، وإذ بالرأي العام العربي يتغيّر 180 درجة، بعد أيّام فقط من تطبيع دولة الإمارات، لأنّ القتال أنهكَ عبد الله بن زايد وإخوته.

السودان كان على مرّ الأعوام، وحتى في سنوات الطغاة، مُعبّراً عن تعاطف قوي مع الشعب الفلسطيني. وكانت مدن السودان الأولى دائماً في التعبير الجماهيري عن التعاطف مع الشعب الفلسطيني واللبناني في الحروب الإسرائيليّة ضدنا. ويندر أن تجد شاعراً سودانياً لا يكرّس الكثير من قصائده لموضوع فلسطين. الفيتوري تحدّث عن فلسطين التي «وخانتها الطرابيش وخانتها العمائم» في ديوان «ويأتي العاشقون إليك». وعبد الخالق محجوب لم يكن مثل الزعماء الشيوعيّين المشرقيّين الذين كانوا يتلقّون الأوامر بطاعة من موسكو، ومن دون سؤال. محجوب زار عبد الناصر بعد الهزيمة، وطلب منه بالتفصيل مطالبه المتحالفة مع الصهيونيّة عوقبت بسبب موقف الملك حسين من اجتياح الكويت (ثم جال الحسين ذليلاً على المسؤولين الأميركيّين والإسرائيليين في ما بعد، طالباً الصفح والمغفرة منهم).

يقول حازم صاغيّة (الذي انتقل أخيراً من صحيفة الأمير المتنوّر خالد بن سلطان، «الحياة»، إلى صحيفة الأمير المتنوّر محمد بن سلمان، «الشرق الأوسط» - أي إنه متمرّس في صحافة المهنيّة العربيّة والتنوير)، إنّ الفيصل في قرار السودان لا ينبغي أن يرتبط بفلسطين، بل بمصلحة السودان؛ أي إنّه أفتى أنّ دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو بَنيا قرارهما في تطبيع السودان على مصلحة الشعب السوداني. والوعود بالازدهار والبحبوحة كانت وفيرة، عندما زار السادات القدس، وقد أغدق الوعود (بالنيابة عن أميركا التي رعته وحَمَته) على الشعب المصري، وكرّر أنّ الخير سيعمّ مصر بسبب السلام، ومثله فعل الملك حسين والحكومة الأميركيّة بعد وادي عربة. والبلدان فقيران محتاجان يعتاشان على المساعدات الخارجيّة والديون. ويبلغ دين السودان الخارجي أكثر من 60 مليار دولار، وقد وعد ترامب بتسديد 100 مليون دولار منها، أي 0،1 في المئة من الدين الخارجي. المساعدات الأميركيّة ستفيد فقط حكم العسكر، وهذا ما قاله عبد الفتاح البرهان بصراحة، إنّ التطبيع سيفيد تعزيز القدرات العسكريّة للجيش. سيجد الشعب السوداني أنّ النار التي ستحرقه لو اعترض على حكم العسكر ستكون أكثر فتكاً من نيران عمر البشير. وبعد إعلان التطبيع، زادت أسعار المحروقات بنسبة 400%؛ هذه من ثمار التطبيع.

لم يكن التطبيع السوداني ممكناً من دون مشاركة قوى «ثوريّة»، أي «قوى مدنيّة»، كما تسمّي نفسها في السودان. هذه القوى باتت في كلّ الدوَل العربيّة الطابور الخامس في كلّ الانتفاضات الشعبيّة، والمعطّل الحقيقي للتغيير في كلّ الدول العربيّة. هؤلاء حصان طروادة لأعداء الشعوب، ويبدو أنّ النظام السعودي والإماراتي يعملان معهم بتنسيق كلّي (كما جرى مع «تمرّد» في مصر). عارض حزب الأمّة التطبيع (وإن بكلام مائع)، فقام النظام التطبيعي بشقّه وخلق حركة تعمل باسمه وتنادي بالتطبيع. والحزب الشيوعي السوداني هادَن قبل أن يقرّر أخيراً أن يشنّ حملة قاطعة ضدّ التطبيع. وهناك من يعارض التطبيع لأسباب تقنيّة محض، عبر الحديث عن ضرورة عرض التطبيع على مجلس منتخب (مثل الصادق المهدي).

هناك حملة تطبيع عاتية، لم يشهد لها العالم العربي مثيلاً من قبل. هناك ممثّلون لأكثر من 12 شركة تكنولوجيّة في الإمارات، اليوم، والحاخام الطبيب الأميركي الصهيوني إيلي عبادي (الذي يصفُ اليهود الذين يطالبون بالدولتيْن بالالسامييّن) سيصل إلى دبي رئيساً للجالية اليهوديّة في الإمارات. وجريدة «النهار» نشرت عنه مقالة تزهو باصله اللبناني، من دون الإشارة إلى وجوده الدائم في تظاهرة «الزهو بإسرائيل» في نيويورك، والتي رفض ضم جمعيّات يهوديّة غير متطرّفة إليها. (وعبادي يقول إن كليّة الطب في الجامعة الأميركيّة تدعوه دائماً إلى المحاضرة فيها لكنّه لا يأمن لسلامته في لبنان). التطبيع ينتشر ويتعمّق، والوفد اللبناني في مفاوضات الناقورة يصف لقاءه مع وفد الجيش الذي يحتلّ أرضه ويخرق سيادته يومياً بـ«الإيجابي». واللقاء الأخير جرى على مأدبة غداء، لعلّها ضمّت الأطباق نفسها التي كانت سولانج الجميّل تعدّها بيدَيْها لأرييل شارون. هذا تطبيع أيضاً - وتطبيع صفيق، لكنّ «الدنيا دولاب»، كما غنّت صباح، والجو التطبيعي الذي ساد لبنان عام 1983، انقلب في غضون سنة. لكنّ ذلك يحتاج إلى القوّة. وكما أنّ أميركا تفرض التطبيع بالقوّة، فإنّ رفض التطبيع لا يكون إلا بالقوّة.

> كان النظام السوداني، في الستينيّات، الأكثر ديموقراطيّةً بين الأنظمة العربيّة، ومنها لبنان

* كاتب عربي
(حسابه على «تويتر» @asadabukhalil)

الإساءة إلى الرسول ليست حرية رأي!

الشيخ علي دعموش *

شهدت السنوات الأخيرة محاولات مدروسة للنيل من شخصية النبي محمد بن عبد الله (ص)، تمثّلت في قيام بعض الغربيين ووسائل إعلام غربية برسوم كاريكاتورية ساخرة ومهينة لرسول الله (ص)، وإصدار بعض الأفلام والمقالات المسيئة، والإيحاء بأنّ محمداً رجل ينتهك حقوق الإنسان ولا يعرف الرحمة.

وقد بدأت هذه المحاولات بكتاب «آيات شيطانية» لسلمان رشدي، واستمرّت مع الرسوم الكاريكاتورية المسيئة لرسول الإسلام، التي نُشرت في الدنمارك قبل سنوات، والفيلم الأميركي Innocence of Muslims الذي يتّهم النبي محمد بالشذوذ، وصولاً إلى الرسوم الكاريكاتورية الجديدة في فرنسا التي غطّاها الرئيس الفرنسي إمانويل ماكرون بذريعة حرية التعبير. ومن المعلوم أنّ كتُب السيرة والتاريخ، فيها ما يكفي من النصوص والمرويات الدخيلة والمندسّة التي ربما تشكّل مادة دسمة للمسيئين للنيل من شخصية رسول الله محمد وتشويه صورته المقدسة.

وهذا ما يدعونا إلى أن نقرأ كتب السيرة والتاريخ بحذر ووعي، وأن لا نأخذ منها إلّا ما ينسجم مع الواقع التاريخي الصحيح، ومع الصورة الحقيقية لرسول الله (ص) التي عكستها النصوص والدلائل والشواهد الصحيحة. ولا شكّ في أنّ سلسلة الإهانات التي تعرّض لها النبي محمد، أخيراً، لم تكن عملاً فردياً كما يحاول البعضُ أن يروّج، بل هي عملٌ تقف وراءه جهات دولية وأجهزةُ استخبارات عالمية، حرّضت على إنتاج هذه الأعمال وعرضِها ونشرِها تحت عنوان حرية الرأي، وقد كشف منتج الفيلم المسيء للنبي الذي صدر في أوروبا قبل سنوات، الهولندي Arnoud Van Doorn في حوار معه نشرته صحيفة «الرأي» الكويتية، أنّ لوبياً أميركيا - إسرائيلياً شجّعه على إنتاج الفيلم.

لقد أسقطت هذه الأعمال القناع عن الوجه الحقيقي للغرب، وكشفت عن كنه العداء الذي يضمره للإسلام، بل ولكل ما هو مقدّس وديني. ولعلّ من الأهداف الخطيرة لهذا النوع من الإساءات، هو تخريب العلاقات الإسلامية المسيحية، وإيقاع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، وجرّهم إلى صراع دينيّ وطائفيّ دمويّ، وإضعاف الإيمان الديني لدى الشعوب، وإبعادهم عن رموزهم ومقدساتهم التي هي مصدر وحدتهم وقوّتهم.

وثمة خشية حقيقية من أن تكون الاستهدافات والإساءات الجديدة للإسلام ولرسوله الأعظم التي صدرت في كلّ من الدنمارك والسويد وهولندا وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية، بما فيها كلام الرئيس الفرنسي الأخير عن الإسلام، أداةً في استراتيجية الحرب الناعمة التي يقودها الغرب ضد الإسلام والشعوب والجاليات الإسلامية، ومقدمة لسلسلة أخرى من الإساءات التي يمكن إدراجُها في سياق هذه الحرب بغية تحقيق الأهداف المذكورة وغيرها.

ولكن حتى الآن يمكننا القول إنه تمّ تعطيل هذه الأهداف بفعل طريقة تعاطي الشعوب والقادة الروحيين والسياسيين، من مسلمين ومسيحيين، مع هذا النوع من الإساءات. حيث إنّ حالة الغضب التي سادت في جميع الدول الإسلامية بسبب الإساءات الفرنسية الأخيرة، وخروج الآلاف على امتداد العالَمَين العربي والإسلامي للتعبير عن استنكارهم لتلك الإهانات من جهة، واحترامِهم وتقديسِهم لنبي الإسلام من جهة أخرى، ومسارعة قادةٍ مسيحيين دينيين وسياسيين إلى إدانة التعرّض للإسلام، واعتبارهم أنّ الإساءة للإسلام ولنبيّه هي إساءة للمسيح وللمسيحية، كان لها أثر بالغ في تعطيل هذه الأهداف الخطيرة.

بل إنّ محاولات الإساءة، من خلال الكتابات والرسوم والأفلام وغيرها، كانت ولا تزال تعطي مفعولاً معاكساً للنيات والأهداف التي كان يضمرها الأميركيون والصهاينة، بعدما جرى تحويل هذه القضية، بفعل وعي الناس والقادة، من مشروع انقسام وفتنة إلى مناسبة لتأكيد الوحدة على المستوى الإسلامي - الإسلامي، وعلى المستوى الإسلامي - المسيحي.

وخلافاً لكلّ ما قيل أو قد يُقال في الغرب وفي غيره، تحت عنوان حرية الرأي والتعبير، للنيل من الشخصية الإنسانية الرحيمة لرسول الإسلام، فإنّ سيرة وسلوك وأخلاق هذا الرسول العظيم تكشف عن كماله وسموّه الإنساني، وعن سلوك حضاري لم يعرف التاريخ مثيلاً له.

فقد عُرفت هذه الشخصية برجاحة العقل، وأصالة الفكر، وقوة الحكمة، وحسن التدبير، واشتُهرت بالطهر والصدق والأمانة والعفاف، وامتازت بالأخلاق الإنسانية السامية، وبحسن معاشرتها للناس ومعاملتهم بالرفق واللين والرحمة والعفو والتسامح والتواضع والترفّع عن إساءاتهم وتجاوزاتهم. بل إنّ من يلقي نظرة على التاريخ الصحيح للنبي محمد، سيكتشف أنّه كان قمة في التسامح والرحمة والعطف واللين، وأنّه كان أشفق الناس على الناس، وأرأف الناس بالناس، ولأجل ذلك فقد اعتبر القرآن هذه الخصائص والصفات من أبرز معالم شخصيته الإنسانية والرسالية، حيث قال مبيّناً هدف إرساله: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

وقال واصفاً رحمته ورأفته: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك».

وقال: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم». ويقول النبي (ص) عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة». وعندما قيل له ادع على المشركين قال: «إني لم أُبعث لعّاناً وإنّما بعثت رحمة».

وقد شملت رحمته الجميع: الرجال والنساء، والكبار والصغار، الأصحاب والخصوم والأعداء، وكان طابع سلوكه العام في كلّ المجالات العفو والتسامح، سواء في السلم والحرب، أو في الإدارة والسياسة، أو في مختلف المواقع. ومن عظيم رحمته التي خلّدها التاريخ، أنّه عفا عن أهل مكّة يوم الفتح، ووقف منهم موقفاً رحيماً، بالرغم من كلّ العذاب والآلام والمعاناة وأنواع الأذى التي واجهته بها قريش قبل الهجرة وبعدها، وبالرغم من كيدها ومؤامراتها واعتداءاتها وحروبها وإرهابها الذي مارسته على مدى سنين بحق المسلمين.

فقد وقف (ص) على باب الكعبة بعد الفتح مخاطباً أهل مكة: ما ترون أني فاعل بكم؟

قالوا: خيراً. أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: فإني أقول لكم كما قال يوسف: لا تثريب عليكم، اليوم يغفر الله لكم، وهو أرحم الراحمين، اذهبوا فأنتم الطلقاء.

وعندما قال أحد أصحابه: اليوم يوم الملحمة، اليوم تسبى الحرمة.

قال (ص): اليوم يوم المرحمة، اليوم تراعى الحرمة.

بهذه النفس الرحيمة، وبهذا الخلق الإنساني الرفيع، يعامل رسول الله (ص) أشدّ الناس عداوة له بعدما تمكّن منهم ومن رقابهم. إنّ هذا الخلق النبوي المحمدي الأصيل، لم ولن تستطيع أن تنال منه لا محاولات التشويه التي جرت في التاريخ، ولا كلّ الإساءات التي جرت في الحاضر، أو تلك التي يمكن أن تصدر في المستقبل. الغرب اليوم مدعوّ إلى إعادة النظر في سلوكه المعادي للجاليات الإسلامية وقيمها الدينية، وفي انطباعاته السلبية عن الإسلام، والتي غالباً ما تكون ناجمة، إما عن جهل وقلة معرفة بالواقع الإسلامي وحقائق الإسلام، أو عن عنصرية وأحقاد مضمرة. فالإساءة لرسول الله محمد، ليست حرية رأي، بل إهانة لكلّ الأديان السماوية ورموزها، وجريمة بحق المقدّسات الإنسانية، وخطوة استفزازية لمشاعر ملايين المسلمين في العالم، ودعوة صريحة للكراهية والعنف، وذريعة واضحة لممارسة الإرهاب ضد المسلمين. والإسلام ليس في أزمة كما يدّعي السيد إيمانويل ماكرون؟! بل الأزمة في الجهل به، وفي أخلاق الحاقدين عليه.

*قيادي في حزب الله

فلسطين

مجدّداً، تعود أزمة رواتب الأسرى والمحرَّرين الفلسطينيين إلى الواجهة. هذه المرّة، تدلّ المؤشّرات على نية العدو الإسرائيلي تنفيذ القرار العسكري القاضي بمعاقبة البنوك التي تصرف رواتبهم

تعاضدٌ بين العدوّ و«دولة البنوك»

الأسرى محرومون من رواتبهم

رام الله ــ مي رضا

منذ التهديدات الأميركية والإسرائيلية بمعاقبة البنوك الفلسطينية التي تصرف رواتب لأسر الشهداء وللأسرى وللمحرَّرين، وإعلان العدو اتخاذ إجراءات فعلية في شأن ذلك (راجع عدد 22 نيسان)، تُواصل «دولة البنوك» في الضفة المحتلة إغلاق حسابات للأسرى، بصرف النظر عن وجود قرار إسرائيلي أو لا. وبينما أجبر الحراكُ الشعبي السلطة الفلسطينية على تشكيل لجنة لحلّ الأزمة، بعيداً من البنوك، يرى كثيرون أن العدو يبقى «صاحب اليد العليا» بوصفه قوة احتلال يحكم سلطة مكبّلة بدورها باتفاقات كثيرة، أهمّها التي تربط منظومتها الاقتصادية به بصورة كاملة. وفي حين أن البنوك «ترتجف من العقاب الإسرائيلي»، فهي تتصرّف مثل «سلطة داخل سلطة» مع الأسرى، فلا تكترث إلا بمصالحها وأموالها، فيما تقف رام الله موقف المتفرّج، بعدما أخفقت كلّ مقترحاتها لحلّ الأزمة عبر المناورة بطرق أخرى غير البنوك.

يرى متابعو هذا الملف أن العدو عازمٌ الآن على إغلاق ملف رواتب الأسرى والمحرَّرين وعائلات الشهداء، مدفوعاً بالدعم الأميركي والعربي الرسمي جرّاء موجة التطبيع الأخيرة، وهذا كلّه ضمن المخطط الهادف إلى تصفية القضية (صفقة القرن). في السياق، قالت قناة «كان» العبرية إن تل أبيب نقلت رسالة إلى السلطة بأنها لن تُمدّد مجدّداً تجميد القرار العسكري الذي ينصّ على معاقبة المصارف في حال صرفها رواتب، أو استمرار فتحها حسابات، لأسرى ومحرَّرين، وهذا القرار في حال تنفيذه يطاول نحو 12 ألف أسير ومحرّر يتقاضون رواتب من «هيئة شؤون الأسرى» (كانت وزارة سابقاً). وتؤكد مصادر، تطابقت أحاديثها إلى «الأخبار»، أن البنوك استمرّت في التصرّف «كملك أكثر من الملك» لأنها واصلت إيقاف رواتب أسرى ومحرَّرين، على رغم إيجاد حلّ مؤقت قبل أشهر بين البنوك والحكومة و«سلطة النقد» و«هيئة الأسرى»، ومع أن العدو جمّد قراره العسكري لأشهر (كان يفترض أن يُنفّذ بداية أيار/ مايو الماضي).

قانونياً، تنصّ المادة 12 من قانون المصارف لعام 2010، المعمول به في الضفة، على أنه «لا يجوز لأيّ مصرف أن ينهي أو يعلّق أعماله، أو يتوقف عن أداء بعضها، دون الحصول على الموافقة الخطية المسبقة من سلطة النقد، والأخيرة لديها الحق في وضع الإجراءات والشروط لإنهاء عمل أيّ مصرف بما يحقق الحفاظ على حقوق المودعين واستقرار الجهاز المصرفي في فلسطين». لكن البنوك لا تُعير اهتماماً لتوجيهات «النقد» عندما يتعلّق الأمر بالضغوط الأميركية والإسرائيلية، على قاعدة «رأس المال جبان». ففي الشهر الخامس، أي قبيل السريان المفترض للقرار العسكري، سارعت مصارف إلى إغلاق عشرات الحسابات، الأمر الذي أدى إلى موجة غضب شعبية وصلت ذروتها بإطلاق مسلحين النار على فروع للمصارف، إلى جانب الاعتصام أمام أبوابها، وكذلك إلصاق منشورات وخطّ شعارات تدين المصارف وتطالبها بأن تكون «وطنية». تحت الضغط، وجدت السلطة نفسها مُجبرةً على تشكيل لجنة حكومية لمحاولة امتصاص الغضب بحلول مقترحة بعيداً من المصارف.

يطاول القرار العسكري الإسرائيلي في حال تنفيذه نحو 12 ألف أسير ومحرّر (أ ف ب)

مع هذا، ثمّة شعور عام بأن السلطة لن تستطيع منع العدو من تنفيذ قراره، كما أنها لن تنجح في إجبار البنوك على مواجهته، لأنها تستجيب دائماً لتهديدات العدو كالعادة، وخاصة مع ارتباط السلطة والمصارف الفلسطينية بالنظام المصرفي الإسرائيلي قبل أن تكون مرتبطة بالأنظمة الأميركية والعالمية ومعاهدات «مكافحة الإرهاب وغسيل الأموال». مقابل ذلك، اكتفت رام الله باللجوء إلى «حلول مؤقتة وترقيعية» بدلاً من مواجهة التحدّي الرئيس، أي وقف الصرف عبر البنوك، الأمر الذي يجعلها تتشارك في المسؤولية عن «مجزرة رواتب الأسرى» كما تصف المصادر، قائلة إن «الآلية المعمول بها حالياً هي شيكات يقبضها المستفيد من وزارة المالية مباشرة دون الحاجة إلى التوجّه صوب المصارف، وهذه الآلية ستظلّ متّبعة، لكنها تُقيّد السلطة أكثر، إذ سيستمرّ الابتزاز الإسرائيلي في الضرائب المُسمّاة المقاصة، والتي يخصم منها العدو رواتب الأسرى والمحرَّرين».

أمّا فكرة إنشاء بنك حكومي فلسطيني غير مرتبط بالنظام المالي الإسرائيلي أو نظام المصارف العالمية، فهو الحلّ الذي تغنّت به الحكومة الفلسطينية، لكنه بقي يراوح مكانه، على رغم أن المدّة اللازمة لإنجازه لا تتعدّى ستة أشهر. وحتى في حال تنفيذه، فهو قد يكون حلاً غير ناجح، إذ يمكن للعدو الهجوم على مقرّ البنك أو فروعه وملاحقة موظفيه وإغلاقه وحظره. مع هذا، تواصل السلطة التعامل بحذر مع ملف الأسرى والمحرَّرين مجتمعياً لإدراكها حساسيته. وهي حاولت المناورة أمام الضغوط الأميركية، فأنهت وزارة شؤون الأسرى والمحرَّرين وحوّلتها إلى هيئة تابعة لـ«منظمة التحرير»، فضلاً عن أنها كانت تنوي تحويل الهيئة لاحقاً إلى جمعية تتبع وزارة الداخلية أو الشؤون الاجتماعية بسبب استمرار الضغوط الأميركية، لكن السيناريو الأخير لم يَحدث خشيةَ من رد فعل الشارع. وفق مصادر، ربّما يقود تنفيذ البنوك القرار العسكري الإسرائيلي بصورة كاملة إلى تدهور ميداني، كما أنه سيشعل الشارع ضدّ مقرّات البنوك وفروعها على نحو أعنف من موجة الاحتجاجات الماضية. فهل يريد العدو ذلك فعلاً؟ وهل لديه تقدير بأن هذه الموجة لن تطاوله؟

> **فيما تلجأ السلطة إلى حلول ترقيعية، تتزايد احتمالات اشتعال الشارع**

الأخرس يواصل المقاومة بأمعائه

يدخل الأسير ماهر الأخرس يومه الـ 97 من إضرابه المفتوح عن الطعام في سجون العدو الإسرائيلي احتجاجاً على استمرار اعتقاله الإداري من دون تهمة تُذكر. مع هذه المدّة الطويلة، يعاني الأخرس (49 عاماً) من تدهور وضعه الصحي بصورة حرجة، فيما ترفض محكمة العدو الإفراج عنه فوراً وإلغاء اعتقاله. وحالته الآن أنه لا يقوى على الحركة، ويعاني من تشوش الرؤية وصداع شديد، إضافة إلى نوبات تشنج وآلام في مناطق جسده. في المقابل، يحاول العدو الالتفاف على إضراب الأسير بتقديم «عروض مؤقتة خادعة» كتحديد سقف «الإداري» إلى موعد لاحق بعد أشهر، أو التعهّد بأنه لن يمدّد الاعتقال مرّة أخرى، لكن الأخرس يرى أنّ قرارات المحاكم «خدع مزيفة لإرغامه على إنهاء إضرابه»، مؤكداً أنه لن يوقفه إلا عندما يكون حرّاً بين أطفاله في بيت العائلة. والأخرس من بلدة سيلة الظهر جنوبي جنين (شمال)، متزوج وأب لستة أولاد؛ أصغرهم طفلة عمرها ست سنوات، وهو كان قد اعتُقل خمس مرات.

الجزائر

الاستفتاء الدستوري غداً

مرض الرئيس يُشوّش الاستحقاق

سلبت أخبار نقل الرئيس الجزائري، عبد المجيد تبون، إلى الخارج للعلاج، الأنظار من استفتاء التعديل الدستوري المنتظر يوم غدٍ الأحد. وتسود البلادَ حالةٌ من الترقب، وسط تضارب الأخبار بشأن طبيعة مرض الرئيس، في وقتٍ تُؤكد فيه الرئاسة أن وضعه لا يدعو إلى القلق

الجزائر ــ محمد العيد

في سيناريو لم يكن متوقعاً، أصدرت الرئاسة الجزائرية، في الأسبوع الأخير، مجموعة بيانات حول الحالة الصحية للرئيس عبد المجيد تبون، أحدثت جدلاً واسعاً، وأعادت إحياء هواجس الجزائريين الموروثة من حكم الرئيس السابق. وبدأت هذه الأخبار الرسمية بالقول إن الرئيس وَضَع نفسه في حجر صحّي طوعي لمدّة 5 أيام بعد التأكّد من وجود إصابات بفيروس كورونا في محيطه، ثمّ انتقلت إلى الحديث عن نقل تبون إلى أكبر مستشفى عسكري في البلاد بنصيحة من أطبائه، ثمّ انتهت إلى أن الرئيس سافر إلى ألمانيا من أجل إجراء فحوصات معمّقة وتلقّي العلاج.

واللافت أن هذه البيانات لم تتحدّث عن طبيعة مرض تبون، ولا عن مكان استشفائه في ألمانيا، ولا عن مدّة بقائه هناك، ما ترك الباب مفتوحاً أمام العديد من التأويلات والأخبار المتضاربة. ويبقى احتمال أن يكون الرئيس قد أصيب بفيروس كورونا هو الأرجح، بالنظر إلى أن الرئاسة لمحت إلى ذلك في بيانها الأول الذي أعلن وجود عدّة إصابات على مستوى رئاسة الجمهورية، اضطرت الرئيس إلى وضع نفسه رهن الحجر الطوعي، وهو التفسير الذي تداولته أغلب وسائل الإعلام التي تناولت الخبر، في حين تعاطت القنوات الرسمية والخاصة بحذر شديد مع الموضوع.

ومما عزّز الاعتقاد بأن الرئيس يعاني من أعراض "كورونا" هو نقله إلى ألمانيا للعلاج؛ لكون هذه الدولة الأوروبية تُعدّ من البلدان الأكثر تطوّراً حتى الآن في معالجة مرض "كوفيد 19"، وتعتبر نسبة الوفيات فيها من بين الأقلّ في العالم. لكن أسباب النقل إلى ألمانيا لم تَخُلْ من بعد سياسي؛ على اعتبار أن الجزائريين ينظرون بحساسية بالغة إلى رحلات العلاج الطويلة للرئيس السابق عبد العزيز بوتفليقة إلى فرنسا، ويرون فيها انتقاصاً من السيادة أمام المستعمر السابق، وهو عاملٌ قد يكون الرئيس الحالي أخذه بعين الاعتبار في اختيار وجهة العلاج، بالنظر إلى التوقيت الحساس لمرضه المتزامن مع استفتاء الدستور، واحتفالات ذكرى اندلاع الثورة الجزائرية ضدّ المستعمر الفرنسي، وتدشين "جامع الجزائر" الذي يُعدّ أكبر مسجد في العالم بعد الحرمين الشريفين، وهي كلّها أحداث كانت ستتعرّض لقراءة سلبية في حال انتقل الرئيس إلى مستشفى فرنسي.

لكن مهما كانت حسابات اختيار ألمانيا دقيقة، يبقى أن مرض الرئيس خلط تماماً حسابات السلطة في الجزائر، والتي كانت تراهن على تمرير استفتاء الدستور في ظرف أحسن، ولا سيما أن هذا المشروع تمّ تقديمه باسم رئيس الجمهورية في إطار تدشين عهد "الجزائر الجديدة"، وتحقيق مطالب التغيير التي دعا إليها الجزائريون. ووُجد حتى مَن طالب بتأجيل الاستفتاء الشعبي، لكون رئيس الجمهورية هو مَن سيُوقّع عليه حتى يكون ساري المفعول، وهو أمر لن يتحقّق في حال بقي الرئيس مدّة طويلة في العلاج خارج البلاد. لكن التأجيل يبدو مستبعداً تماماً، بل إن الاستفتاء انطلق فعلياً في مناطق الصحراء الجزائرية البعيدة، حيث يقطن البدو الرحّل.

وكشف مرض الرئيس، من جانب آخر، سبب غيابه عن الحملة الانتخابية لاستفتاء الدستور في الأسابيع الثلاثة الأخيرة، وهو ما كان محلّ تساؤل من المتابعين، بالنظر إلى أن إلقاء الرئيس بثقله في حملة دعم الدستور كان بإمكانه إعادة الثقة إلى أنصاره الذين دخل جزء منهم في حالة شكّ بسبب وجود تيار رافض في الميدان للتعديلات، لاعتقاده بأنها تُهدّد هوية الجزائريين وانتماءهم إلى الحضارة العربية والإسلامية، على الرغم من تأكيد الرئيس ومحيطه في أكثر من مناسبة أنه لا مجال للتلاعب بالثوابت التي يُلخّصها الدستور بالإسلام والعروبة والأمازيغية.

وفي غياب الرئيس، تولّى الوزير الأول، عبد العزيز جرّاد، وأعضاء في الطاقم الحكومي، ومستشارون في رئاسة الجمهورية، ورؤساء أحزاب الموالاة القديمة، مهمّة الترويج للتعديل الدستوري ودعوة الجزائريين إلى التصويت عليه بـ"نعم". كما لوحظ نشاط قوي لرئيس أركان الجيش، الفريق سعيد شنقريحة، الذي أدلى بأكثر من خطاب يدعو فيه إلى إنجاح الاستفتاء. ولم تَخُلْ هذه الحملة من انزلاقات، كان أبرزها تصريح لوزير الشباب والرياضة، سيد علي خالدي، دعا فيه "مَن لم تعجبهم دستره بيان أول نوفمبر إلى مغادرة البلاد". وقوبل هذا الكلام بردود فعل قوية من رافضي الدستور، استنكرت الخطاب المتعالي لهذا الوزير وطالبت بمحاكمته، وهو ما دفعه إلى الاعتذار والتوضيح بأن كلامه فُهم خطأً. كما لم يستسغ العديد من الجزائريين عودة الحرس القديم من مؤيّدي استمرار الرئيس السابق إلى الواجهة، وتنشيطهم خطابات يُبشرون فيها بالتغيير. لكن حالة شكّ بسبب وجود تيار رافض في الميدان للتعديلات، لاعتقاده بأنها تُهدّد هوية الجزائريين وانتماءهم إلى الحضارة العربية والإسلامية، على الرغم من تأكيد الرئيس ومحيطه في أكثر من مناسبة أنه لا مجال للتلاعب بالثوابت التي يُلخّصها الدستور بالإسلام والعروبة والأمازيغية.

> **الكتلة الثالثة المقاطِعة ترى نفسها غير معنيّة بهذا الاستفتاء**

وفي غياب الرئيس، تولّى الوزير الأول، عبد العزيز جرّاد، وأعضاء في الطاقم الحكومي، ومستشارون في رئاسة الجمهورية، ورؤساء أحزاب الموالاة القديمة، مهمّة الترويج للتعديل الدستوري ودعوة الجزائريين إلى التصويت عليه بـ"نعم". كما لوحظ نشاط قوي لرئيس أركان الجيش، الفريق سعيد شنقريحة، الذي أدلى بأكثر من خطاب يدعو فيه إلى إنجاح الاستفتاء. ولم تَخُلْ هذه الحملة من انزلاقات، كان أبرزها تصريح لوزير الشباب والرياضة، سيد علي خالدي، دعا فيه "مَن لم تعجبهم دستره بيان أول نوفمبر إلى مغادرة البلاد". وقوبل هذا الكلام بردود فعل قوية من رافضي الدستور، استنكرت الخطاب المتعالي لهذا الوزير وطالبت بمحاكمته، وهو الأمر الذي اعتبره قادة المعارضة مؤشّراً سيّئاً في شأن احترام الحقوق والحريات التي سيحملها التعديل الدستوري.

ولم يأبَه المؤيّدون للدستور كثيراً لهذه الانتقادات، وامتدحوا في خطاب الإقناع المُوجّه إلى الناخبين وجود مواد جديدة تسمح للأغلبية البرلمانية - حتى في حال كانت معارضة للرئيس - بتسيير الحكومة، وتُكرّس الحقوق والحرّيات بالمعايير الدولية، وتمنح المعارضة صلاحيات أوسع في البرلمان، وتنصّ على إنشاء محكمة دستورية لديها حق الرقابة على القوانين، إضافة إلى دسترة "بيان أول نوفمبر"، وهو وثيقة تاريخية مؤسّسة للدولة، وأيضاً الحراك الشعبي الذي أطاح الرئيس السابق، في الديباجة. لكنّ الرافضين للدستور يعتقدون عكس ذلك، إذ يرون أن ثمّة تكريساً لهيمنة منصب رئيس الجمهورية على كلّ السلطات، واحتفاظه بصلاحيات واسعة عكس ما تعهّد به، وإفراغاً للسلطة الوطنية لتنظيم الانتخابات من معناها باعتماد منطق تعيين أفرادها، فضلاً عن وجود تخوّف من إدراج مادة تسمح بإرسال قوات عسكرية إلى الخارج بعد موافقة ثلثي البرلمان، خلافاً للعقيدة العسكرية الجزائرية الرافضة لأيّ تدخل عسكري، وفق المعترضين. ويزيد أحزاب التيار الإسلامي على ما تقدّم وجود مواد تُمهّد لعلمنة المدرسة والمساجد، وتتيح التدخل في تنظيم الأسرة.

أمّا الكتلة الثالثة المقاطِعة، فترى نفسها غير معنيّة بهذا الاستفتاء، لكونه يمثّل امتداداً لمسار الانتخابات الرئاسية المرفوض من الأساس، ويطالبون بإعادة مراجعة كاملة لخيارات معالجة الأزمة السياسية.

كشف مرض الرئيس سبب غيابه عن الحملة الانتخابية لاستفتاء الدستور في الأسابيع الثلاثة الأخيرة (أ ف ب)

مقالة

اتّساع رقعة التوحّش

وليد شرارة

جميع المعطيات المتوفّرة حتى اللحظة تؤشّر إلى أن مُنفّذي الهجمات المتتالية الأخيرة في فرنسا «ذئاب منفردة»، بحسب التعبير المستخدَم من قِبَل الأجهزة الأمنية الغربية وأبواقها من خبراء متلفزين. أحد الأصدقاء، خلال نقاش حول هذه الهجمات، أشار إلى سمات تُميّزها عن سابقاتها، من بينها: كون مُنفّذيها لا يتحدّرون من أصول مهاجرة عربية أو أفريقية كما كان الحال في هجمات سابقة (المنفذون باكستاني وشيشاني وتونسي وصل حديثاً إلى فرنسا)؛ وعدم مسارعة تنظيمات سلفية - جهادية إلى إعلان مسؤوليتها عنها وعدم استخدام مُنفّذيها أسلحة نارية بل أسلحة بيضاء، ما يؤدّي إلى استبعاد وقوف جهات منظّمة خلفها. وفي الواقع، فإن المعلومات المتوفّرة عن هجمات دامية أخرى وقعت في دول غربية، كالمذبحة التي ارتكبها العنصري الأبيض أندييرز بريفيك في النروج في عام 2011، أو تلك التي قام بها برينتون تارانت، العنصري الأبيض هو الآخر، في مسجد في نيوزيلاندا في عام 2019، على سبيل المثال لا الحصر، لم تُظهر تورّطاً مباشراً لمنظّمات يمينية متطرّفة أو لأجهزة أمنية فيها.

هذا الأمر ليس تفصيلاً بلا معنى، بل مؤشّر إلى تحوّلات خطيرة في المشهد الدولي، ناجمة عن ديناميات تعتمل في قاع المجتمعات وتطفو فجأة على سطحها، عبر استخدام العنف المشهدي كرافعة. لا شكّ في أن جميع المنفّذين من أنصار فكر متطرّف، أكان عنصرياً أبيض من جهة، أو تكفيرياً من جهة أخرى. لكن قدرة هذا الفكر على أن يصبح دافعاً إلى إقدام أفراد على القتل هي التي يُفترض أن تُحفّز على السؤال حول السياقات العامة السياسية والاجتماعية والفكرية التي تجعلها ممكنة، وعدم الاكتفاء بفرضيات أمنية لا تستند إلى وقائع. عاملان بنيويان يُفسّران التطوّرات المشار إليها: التراجع المستمرّ في قدرة الدول، القوية منها، والهشّة بطبيعة الحال، على السيطرة والتحكّم بالمجتمعات ودينامياتها، في عالم يعود «قانون الغاب» ليسوده بفعل سياسات الحرب الدائمة وآليات عمل الرأسمالية المتوحّشة المتفلّتة من أيّ ضوابط، مع تداعياتها المدمّرة اجتماعياً؛ وقناعة قطاعات اجتماعية متزايدة، فقدت الأمل بمستقبل أفضل، باللجوء إلى العنف كفعل انتقامي وتطهّري يزعزع مجرى الأحداث ويؤجّج التناقضات والنزاعات.

الوظيفة الأولى للدولة الحديثة، منذ نشأتها، بحسب كلاسيكيات الفكر السياسي، كانت وقف «حرب الجميع ضدّ الجميع»، أو ما سُمّي «قانون الغاب»، داخل حدودها، وبسط سيطرتها وسيادة قوانينها، مهما كانت طبيعة هذه القوانين، لحماية أمن سكّانها وممتلكاتهم في مقابل ضمان ولائهم لها. «قانون الغاب» بقي القاعدة خارج حدودها، خاصة في الفضاءات المستباحة في جنوب العالم منذ بداية الظاهرة الاستعمارية، وهي أساساً «عنف غاشم» وفقاً لفرانز فانون في كتابه المرجعي «مُعذّبو الأرض»، حيث يُباح العدوان والاحتلال والقتل الواسع النطاق ونهب الثروات. مَيّز «الحضارة» عن «الهمجية» حدٌّ فاصل بين فضاءات يسودها «حكم القانون»، وأخرى تُساس بحدّ السيف. وعلى رغم حقبة الاستقلالات، التي أتت كخاتمة لمعارك تحرّر وطني طويلة، خلال القرن العشرين، فإن سياسات الحرب المباشرة أو غير المباشرة، وأخيراً «الهجينة»، المعتمَدة من قِبَل الغرب بقيادة الولايات المتحدة، بهدف السيطرة على الموارد والمصائر في العديد من بلدان الجنوب، لم تتوقّف، بل تصاعدت في العقود الثلاثة الماضية. إضافة إلى ذلك، فإن النظام الاقتصادي الرأسمالي العالمي، الذي تَأسّس لخدمة مصالح الغرب المهيمن والنخب الحاكمة في الكثير من بلدان الجنوب المستقلّة، أدّى، نتيجةً للتبادل اللامتكافئ وسياسات التصحيح الهيكلي المفروضة من المؤسّسات الاقتصادية الدولية، إلى دمار اقتصادياتها، ونكب السواد الأعظم من مجتمعاتها، والاضمحلال المتسارع لدولها التي باتت أشبه بهياكل فارغة. عطفاً على ما تقدّم، فإن الخيارات النيوليبرالية التي أخذت بها غالبية الحكومات في دول الغرب قد أفضت بدورها إلى تعمّق الفوارق الاجتماعية، وإلى إفقار وتهميش كتل متزايدة من شعوبها إلى درجة أن البعض بدأ يتحدّث منذ أكثر من عقدين عن «نمرّ جنوب في الشمال».

غير أن المستجدّ في المشهد الدولي، هو تراجع قدرة القوى الغربية على تثبيت سيطرتها خارج حدودها أولاً، بفعل المقاومة الضارية التي تُبديها شعوب في الجنوب في مواجهتها، وتغيّرات في موازين القوى العالمية متّصلة بصعود دور منافسين غير غربيين لها؛ وبقدر أقلّ داخل حدودها ثانياً، بفعل اتّساع أعداد المهمّشين والمقصيّين، الناقمين على سياساتها. وقد ساهمت العولمة، وما قادت إليه من محو نسبي للحدود والحواجز بين «داخل» و«خارج»، إلى ضمور متزايد لهذه القدرة على السيطرة. هل يمكن في زمن العولمة وثورة المعلومات والاتصالات حصر أيّ صراع في الخارج، ومنع تسلّله وتأثيره في «الداخل»، في ظلّ تحوّل الشبكة العنكبوتية إلى ساحة دعاية وتعبئة ونزاع؟ الخراب المقيم الذي عَمّمته السياسات المشار إليها سابقاً تسبّب، في ما تسبّب به، خاصة في البلدان التي دُمّرت دولها، بنموّ تنظيمات متطرّفة يعتمد أتباعها الحرب كنمط حياة، بعد أن انعدمت أمام غالبيتهم أبسط مقوّمات البقاء. وفي بلدان الغرب، فإن الاعتقاد المنتشر بين كتل المهمّشين بفساد نخبهم المعولمة وتقديمها لمصالحها على حساب حقوقهم الدنيا كمواطنين، يُسهّل انجذاب جزء منهم نحو تيارات العنصرية البيضاء المطالِبة بالعودة إلى الجماعة العضوية «الأصلية» وطرد المهاجرين والمختلفين، للحفاظ على نقاء هويتها وحماية مصالحها وثرواتها. «قانون الغاب»، الذي حاول البعض حصره خارج حدود العالم «المتحضّر»، أضحى، على الأقلّ على مستوى اعتقادات وتصوّرات أوساط اجتماعية وازنة، واقعاً يحكم مواقفها وسلوكها حيال «الآخرين». يتشارك العنصريون البيض والتكفيريون مثل هذا الاعتقاد، ويترجم أشدُّهم تطرّفاً هذه القناعات إلى أفعال.

قناعة ثانية يتشاركها الطرفان، وهي افتراض إمكانية التأثير في واقع متأزّم أصلاً، وتأجيج النزاعات الدائرة فيه، ودفعها نحو الاحتدام خدمة لـ«قضيتهم»، عبر القيام بعمليات مشهدية، دموية بالضرورة، تُشبع رغبتهم في الانتقام وتُشكّل نموذجاً يُحتذى بالنسبة إلى «إخوانهم». وفي هذا السياق، فإن جميع الدعوات إلى الثأر، ومبادرة الحكومات إلى إعلان «الحرب على الإرهاب»، وما سيلازمها من عمليات تمييز وتنكيل بحق فئات معينة من السكّان من قِبَل الأجهزة الأمنية، ستساعد على إنضاج ظروف تسعير الصراع. رقعة التوحّش تتّسع، وتمتدّ تدريجياً لتشمل المراكز الرأسمالية الآمنة التي بقيت بمنأى عنه في زمن مضى وانقضى.

على الغلاف

تبيّن استطلاعات الرأي أن ترامب وبايدن يتعادلان في ولايتي فلوريدا وأريزونا (أ ف ب)

يسير دونالد ترامب وجو بايدن كتفاً بكتف في ستّ ولايات رئيسة، هي: فلوريدا، بنسلفانيا، ميشيغان، كارولاينا الشمالية، ويسكونسن وأريزونا، يُحسم الفوز بها ـ أو في بعضها ـ نتيجة السباق لمصلحة أحدهما. هذه الولايات التي أهدت ترامب، قبل أربع سنوات، أصوات الهيئة الناخبة للفوز بالرئاسة، لا تزال متردّدة. هذا العام، إزاء تفضيل مرشّح على آخر في ظلّ غياب برامج انتخابية واضحة عن حملتَي المرشّحَين الجمهوري والديموقراطي والاستعاضة عنها بشعارات من قبيل «القضاء على كورونا» تحت قيادة بايدن، أو الفورة الاقتصادية في ظلال ترامب

طريق ترامب الطويل: فلوريدا تحسم السباق

على امتداد قرن مضى، لم يَفز مرشّحٌ جمهوري بالرئاسة إلّا كانت فلوريدا دافعاً رئيساً خلف هذا النصر. تُعدُّ هذه الولاية كبرى الولايات المتارجحة التي لا يمكن التنبّؤ بأهواء ناخبيها، فضلاً عن كونها تمثّل ركيزة منطقة «حزام الشمس» الممتدّة في الجنوب وجنوب الغرب الأميركي، حيث الكثافة السكانية والزراعة والصناعات العسكرية، وكذلك الأعداد الكبيرة من المتقاعدين الذين يشكّلون ثقلاً حقيقياً لجهة ميل الكفّة بين مرشّح وآخر. بالنظر إلى ما تمثّل من أهمية، ستكون الأضواء مسلّطة على فلوريدا ليلة الثلاثاء المقبل. فعددُ ناخبيها البالغ 14 مليوناً، وحصّتها الوازنة في الهيئة الناخبة بـ 29 صوتاً، يُعتبران حاسمَين لجهة الحصول على غالبية 270 صوتاً ضرورياً في الهيئة للوصول إلى البيت الأبيض. ولأن قوانين الولاية تسمح بالعدّ المبكر لأصوات الاقتراع الغيابي، والبالغة نحو ستة ملايين هذا العام مقارنةً بـ 2,7 مليون في عام 2016، يُتوقّع أن يُكتمل الفرزُ سريعاً مع بدء المقاطعات في إصدار النتائج الأوليّة في الساعات الأولى من مساء يوم الاقتراع، ما يعني احتمال جلاء النتيجة بحلول فجر يوم الأربعاء المقبل. تشير مؤسسات الاستطلاع الرئيسة إلى أن فوز المرشّح الديموقراطي، جو بايدن، بهذه الولاية، سيختتم مسيرة الرئيس دونالد ترامب، الذي يحتاج إلى جانب فلوريدا إلى كلّ من أريزونا وكارولاينا الشمالية في «حزام الصدأ»، وواحدة من الولايات الكبرى، أي بنسلفانيا أو ميشيغان أو ويسكونسن.

عشية الانتخابات، تحتدم المعركة بين ترامب وبايدن في ظلّ سعيهما إلى كسب أصوات الناخبين المتردّدين في حفنةٍ من الولايات المتارجحة التي تؤدي دوراً حاسماً في النتيجة النهائيّة. تبيّن استطلاعات الرأي أن المرشّح الديموقراطي المتقدّم بفارق كبير على مستوى البلاد، يسير كتفاً بكتف ترامب في هذه الولايات. فهو، بحسب استطلاع لـ«ويترز/إبسوس»، يغطّي الفترة بين 14 و21 تشرين الأول/ أكتوبر الجاري، يتعادل مع الرئيس الأميركي في ولاية فلوريدا (49% مقابل 47%)، بعدما كان ـ سابقاً ـ يتفوّق عليه (50% مقابل 46%)، وإن كان هذا الفارق يقع على حافة هامش خطأ الاستطلاع. ينسحب هذا أيضاً على أريزونا، حيث حصل بايدن على 48% من الأصوات المحتملة، في مقابل 46% لترامب. وفي حال فوز الأوّل بهذه الولاية البالغة حصّتها 11 صوتاً في الهيئة الناخبة، سيصبح أوّل مرشّح ديموقراطي في انتخابات الرئاسة يفوز بها منذ بيل كلينتون في عام 1996. عددٌ أكبر من الناخبين رأى أن بايدن في وضع أفضل للتصدّي لوباء «كورونا» بواقع 48% إلى 42%، بينما حصل ترامب على تأييد 52% في الاقتصاد مقابل 41% للمرشّح الديموقراطي.

تحت هذين العنوانين، عقد المرشّحان تجمّعين انتخابيين في فلوريدا، أوّل من أمس. تباهى الرئيس الأميركي أمام مؤيّديه في تامبا بمعدّلات النمو القياسية التي تمّ تسجيلها في الربع الثالث من العام الجاري، والتي رأى فيها مؤشراً إلى أن اقتصاد بلاده الذي تضرّر جرّاء الأزمة الوبائية يتعافى، محذراً الأميركيين من أن تدابير الإغلاق التي ستُفرَض في عهد بايدن لمكافحة الفيروس ستقضي على الحياة الطبيعية. وعلى رغم حماسة ترامب، يحذّر خبراء الاقتصاد من أن الانتعاش (33,1%) في الفترة من تموز/ يوليو حتى أيلول/ سبتمبر، بعد الانخفاض بنسبة 31,4% في الربع الثاني، جاء مدفوعاً بإنفاق المستهلكين المدعوم بمساعدات حكومية ضخمة بلغت 3 تريليونات دولار، وانقضت مهلة معظمها منذ ذلك الحين. ومن مقاطعة بروارد، ذكّر بايدن أنصاره بأهمية فلوريدا في حسم نتيجة الانتخابات، مؤكداً أنه لن يغلق البلاد، لكنّه سيضع «حدّاً للفيروس». ويتقدم نائب الرئيس السابق كبير (84-48) والنساء (57-41) والمستقلّين (55-41)، كما أنه يعدّ مفضّلاً بين كبار السن (53-47) والذين يشكّلون نسبة كبيرة من الناخبين في الولاية، ويتصدّر حالياً النتيجة في أوساط الناخبين الذين تبلغ أعمارهم فوق 65 عاماً (هذه الفئة إلى جانب المستقلّين دعمت ترامب في 2016). ويتساوى المرشّحان بين الناخبين المتحدّرين من أصول لاتينية (بحسب معهد «بيو» للأبحاث، يحقّ لـ 32 مليون أميركي لاتيني التصويت هذا العام). وتظهر استطلاعات الرأي أن لهؤلاء الكلمة الفصل في بعض الولايات المتارجحة، سواء في نيفادا أو أريزونا، أو في ولايات أخرى مثل ميشيغان وكارولاينا الشمالية. وأمام تجمّع لمئات من مناصريه في ميشيغان الثلاثاء، خيّر ترامب الأميركيين بين «مشروعنا لقتل الفيروس، ومشروع بايدن لقتل الحلم الأميركي»، لأن هذه الانتخابات هي «خيار بين انتعاش خارق بقيادة ترامب، أو كساد بقيادة بايدن».

مثل فلوريدا، تُعدُّ كارولاينا الشمالية ولاية أخرى متارجحة، إذ تبلغ حصّتها 15 صوتاً في الهيئة الناخبة التي تضمّ 538 عضواً. وبحسب آخر استطلاعات الرأي التي تُظهر تقدّم بايدن في ولايتين رئيستين، هما ميشيغان وويسكونسن، فإن فريق الرئيس لا يزال يراهن على يوم الاقتراع، وعلى مَن يسمّيها بـ«الكتلة الصامتة» المؤيدة له، أو «أميركا المنسيّة»، وقوامها طبقة العمال البيض في المصانع والمزارع وحقل التعدين، والتي يقول إنها ستخرج للتصويت يوم الثلاثاء. وبيّن استطلاع أجرته صحيفة «واشنطن بوست» وشبكة «أي بي سي» الإخبارية تفوّق بايدن في ولايات رئيسة في الوسط الغربي، إذ يتقدّم بفارق ضئيل (5 نقاط) على ترامب في ميشيغان، ولكن بفارق أكبر يبلغ 17 نقطة في ويسكونسن. وتعتبر الولايتان، إلى بنسلفانيا (20 صوتاً في الهيئة الناخبة)، بالغتي الأهمية، وخصوصاً هذه الأخيرة التي منحت ترامب، في عام 2016، أصوات هيئتها، على رغم فوزه بفارق 44 ألف صوت من مجموع 6,1 ملايين ناخب.

(الأخبار)

حربٌ على نيويورك

تحوّلت العلاقة بين الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، ومدينته نيويورك، إلى حرب مفتوحة، اشتدّت حدّتها على وقع هجمات متبادلة بينه وبين سلطتها الديموقراطية، في ظلّ انتشار وباء «كورونا». ومع اقتراب يوم الثلاثاء، كثّف الرئيس هجماته على المدينة التي تُعدُّ معقلاً ديموقراطياً، واصفاً إيّاها، في مناظرته الأخيرة مع المرشّح الديموقراطي جو بايدن، بأنها «مدينة أشباح» بعدما رحل منها آلاف المقيمين الميسورين، وباتت أحياء المكاتب فيها مهجورة في ظلّ تفشّي «كورونا». دفع ذلك رئيس بلدية المدينة، بيل دي بلازيو، إلى الردّ، معتبراً أن «مدينة الأشباح الوحيدة ستكون مارالاغو (مقر إقامة ترامب في ولاية فلوريدا) حيث ستمكث في تقاعد قسريّ بعد الانتخابات».

وعلى رغم وجود بعض «الجيوب» المؤيدة لترامب في نيويورك، وفي طليعتها جزيرة ستاتن آيلاند وعدد من أحياء كوينز وبروكلين، يُتوقّع أن يتلقّى الرئيس هزيمة نكراء على غرار ما حصل عام 2016، حين صوّت 79% من الناخبين النيويوركيين لمنافسته هيلاري كلينتون. ومنذ دخوله البيت الأبيض، عمد ترامب إلى تشديد سياسة الهجرة، فردّت نيويورك، على غرار مدن ديموقراطية كبرى أخرى، بإعلان نفسها «ملاذاً»، رافضةً التعاون مع سياسة الهجرة التي تُطبّقها دائرة الهجرة والجمارك الأميركية، ما دفع الإدارة إلى سحب بعض المساعدات الفدرالية من المدينة. وتصاعد التوتر أكثر مع انتشار الوباء الذي ضرب نيويورك بشدّة، ما حمل سلطاتها على فرض حجر صارم على المدينة، التي لا تزال، حتى الآن، تخضع لقيود، ما يثير استياء الرئيس الداعي إلى إعادة إطلاق العجلة الاقتصادية. ويدعو رئيس بلدية المدينة وحاكم الولاية الديموقراطي، منذ أشهر، الرئيس والجمهوريين إلى دعم مالية المدينة للتعويض عن العجز في العائدات الضريبية الناتج من الوباء، من دون أن تستجيب الإدارة، ما قد يرغم السلطات على الحدّ من الخدمات العامة.

(الأخبار، أ ف ب)

> تشير مؤسسات الاستطلاع إلى أن فوز بايدن بولاية فلوريدا سيختتم مسيرة ترامب

> قالت مصادر تجمّع الماركسيين في «حزب العمل» إن عمليات تعليق وطرد أخرى ستتبع ذلك

تقرير

انبعاث «العداء للسامية»: كوربن خارج «حزب العمّال»

قدّمت لجنة أوروبية تقريراً عن فترة رئاسة كوربن لـ«العمّال» زعمت فيه وجود عداء لسامية (أ ف ب)

بعد «إسلاموفوبيا» إيمانويل ماكرون، هاهو اليمين البريطاني يفتح النار على رمز أماني الطبقة العاملة، جيريمي كوربن، مجدّداً بتهم تتعلّق بـ«العداء للسامية». لتُقدم قيادة «حزب العمّال» على تجميد عضويّته وتحويله إلى التحقيق، فيما تشير تقارير في وسائل الإعلام الأميركية (والإسرائيلية) إلى أن مايك بومبيو يفكّر في وصم عدد من المنظّمات غير الحكومية البارزة - بما في ذلك «هيومن رايتس ووتش» و«منظمة العفو الدولية» و«أوكسفام» - بأنها «معادية للسامية». بسبب انتقادات (ملطّفة) نادرة لسلوك قوات الاحتلال الإسرائيلي

لندن ـ سعيد محمد

بعدما أصبحت غالبية الطبقة العاملة البريطانية ترى في توظيف تهم «معاداة السامية» لاستهداف المعادين للهيمنة المتصهينة - محلياً وعالمياً - أمراً لا يعنيها، ها هو اليمين البريطاني يستعيد التهمة البالية ذاتها مجدّداً، ليفتح النار على شخص جيريمي كوربن، رئيس «حزب العمّال» السابق، ورمز أماني الطبقة العاملة بالتغيير السلمي من داخل المنظومة القائمة. ويأتي ذلك بعدما قدّمت لجنة أوروبية، راجعت أداء الحزب في ما يتعلق بـ«العداء للسامية»، تقريراً عن فترة رئاسة كوربن (2015 - 2019) زعمت فيه وجود عداء مؤسَّسي متصاعد للسامية داخل الحزب. تقريرٌ سارع على إثره (السير) كير ستارمر، الرئيس الحالي للحزب - يميني من أتباع توني بلير -، إلى تعليق فوري لعضوية الرئيس السابق، ووضعه رهن التحقيق.

وفي الحقيقة، فإن «معاداة السامية» - بمفهومها المتعلّق بعداء بعض الشوفينيين الأوروبيين المتطرّفين لليهود كمجموعة بشرية - شحبت بشكل كبير في بريطانيا، ولم تعد بأيّ شكل قضية مطروحة في الفضاء العام. لكن مع نشر تقرير لجنة ما يسمّى بـ«المساواة»، فمن المؤكد أن الهجوم الطبقي لليمين سيُدفع إلى توظيف التهمة إلى حدّ الإفراط، ودائماً في إطار معناها المحدّث، أي «تهمة العداء للهيمنة، وإدانة جرائم الدولة العبرية». من المؤكد، أيضاً، انطلاقاً من الخبرة التاريخية، أن وسائل الإعلام البريطانية - يهيمن عليها اليمين - تشحذ سكاكينها لشنّ هجوم شامل في مواجهة تململ الطبقات الشعبية نتيجة مترتّبات جائحة «كورونا»، مستهدفةً يسار «حزب العمل» بشكل خاص، وكلّ معادٍ للهيمنة المتصهينة، بشكل عام، خلال الأسابيع القليلة المقبلة. وإذا كان السلوك السابق مؤشّراً إلى السلوك في المستقبل، فإن اليسار الليبرالي سوف ينضمّ إلى الحملة المغرضة بصفاقة، وسيدعو إلى فرض مزيد من الضغوط (القانونية شكلاً) على يسار اليسار.

وعلى الرغم من أن تقرير اللجنة لم يُوجّه أيّ تهم محدّدة إلى كوربن شخصياً، إلّا أن «الحملة ضدّ معاداة السامية» - المرتبطة بتجمّع «يهود حزب العمل» والسفارة الإسرائيلية في لندن والتي كانت تقدّمت بالشكوى الأوّلية إلى «اللجنة الأوروبية لحقوق الإنسان» في شأن معاداة مزعومة داخل «حزب العمل» للسامية - وصفت التقرير بأنه «رائد» في الدفاع عن الحرّيات، داعمةً استنتاجه بأن «حزب العمل» تحت قيادة كوربن «أصبح معادياً للسامية بشكل مؤسَّسي». وأشاد (السير) ستارمر، بدوره، بالتقرير «الاحترافي الشامل»، ووعد بتنفيذ توصياته «بالكامل»، قائلاً إن أعضاء «حزب العمل» اليهود كانوا «محقّين في توقّعهم أن القيادة الجديدة للحزب ستتعامل مع مسألة (معاداة السامية) بجدّية»، معرباً عن أسفه لهم «لأن تحقيق هذا التغيير استغرق منّي وقتاً أطول ممّا ينبغي». وأضاف ستارمر للصحافيين، بعد هذا القرار الذي بدا مبيّتاً: «إذا كان - بعد كلّ هذا الألم، وكلّ هذا الحزن، وكلّ الأدلة الواردة في هذا التقرير - لا يزال هناك مَن يعتقد بعدم وجود مشكلة معاداة السامية في حزب العمل، وأن كلّ شيء مبالغ فيه، أو نتاج حروب الأجنحة داخل الحزب، فبصراحة، أنت جزء من المشكلة أيضاً. ويجب ألّا تكون في أيّ مكان بالقرب من حزب العمل». وكان كوربن علّق على محتوى التقرير، في بيان له، بأن «المسألة ضُخّمت بشكل مبالغ فيه، بشكل كبير، لأسباب سياسية مَن قبَل خصومنا داخل وخارج الحزب»، ليأتي ردّ القيادة الحالية بالتعليق الفوري لعضويته في الحزب وتحويله إلى التحقيق.

مصادر تجمّع الماركسيين في «حزب العمل» قالت، لـ«الأخبار»، إنه من المحتّم أن تتبع ذلك عملياتُ تعليق وطرد أخرى، ليس لأن الحزب مليء بالمعادين للسامية، ولكن لأن هناك الكثير من الأعضاء الذين يعارضون الحروب الإمبريالية، ما يجعله قوة سياسية لا يمكن الوثوق بها من قِبَل وزارة الخارجية الأميركية. وبدعم اليمين البريطاني، وتشجيع جوقة الصحافة البرجوازية، فإن ستارمر لن يضيّع بالتأكيد هذه الفرصة المثالية لتصفية يسار «حزب العمل»، واستعادة السيطرة المطلقة لتيار تلامذة توني بلير - رئيس الحزب الأسبق وشريك جورج دبليو بوش في الحرب على العراق عام 2003 - على مقدّراته. وكان جون ماكدرنان، الخبير الاستراتيجي البليري التوجُّه، قد اقترح العام الماضي بأنه يمكن استعادة السيطرة على الحزب أيديولوجياً من خلال الإيحاء بأن «معاداة الرأسمالية تخفي معاداة السامية». ويبدو أن حملة «مساواة معاداة الصهيونية بمعاداة السامية» ستصل قريباً في بريطانيا إلى السقف، المتمثّل في وصم الاشتراكية بمعاداة السامية، إذ إن مصادر تجمّع الماركسيين في «حزب العمل» ليست متفائلة بقدرة يسار الحزب على مواجهة الأزمة والافتراءات، ولا سيّما مع سجلّ تردُّد كوربن نفسه كما طاقمه في السنوات الخمس الماضية في التصدّي بحزم لمؤامرة اليمين، وانضمام رفاقه في الجهاز الحزبي بالفعل إلى جهود طرد عدد من مؤيّديه بتهم ملفقة شبيهة.

وفي موازاة الحرب الثقافية في بريطانيا - وعبر البرّ الأوروبي -، فإن على الجانب الآخر من الأطلسي، حيث تُقاتل عصبة الرئيس دونالد ترامب لضمان التجديد له لفترة رئاسية ثانية خلال انتخابات 3 تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، لم يتأخّر مايك بومبيو، وزير الخارجية الأميركي، في استعادة سلاح تهمة «العداء للسامية» وتوسيع دائرة الهجوم ضدّ منتقدي إسرائيل. وتشير تقارير وسائل إعلام أميركية (وإسرائيلية) متقاطعة إلى تسريبات تزعم بأن بومبيو يفكّر في وصم بعض المنظّمات غير الحكومية البارزة - بما فيها «هيومن رايتس ووتش» و«منظمة العفو الدولية» و«أوكسفام» - بأنها «معادية للسامية»، ليثني المسؤولين الأميركيين والوكالات الحكومية عن التعاون معها، وذلك في ما يبدو بناءً على توصيات إيلان كار، المبعوث الخاص لمراقبة ومكافحة معاداة السامية التابع لترامب، والشهير عند الصحافة بلقب «قيصر معاداة السامية». وبحسب التقارير، فإن بومبيو يحاول الربط بين تلك المنظّمات وبين حملة المقاطعة وسحب الاستثمارات والعقوبات الدولية «BDS»، كما معاقبتها على التورّط في إصدار إدانات (ملطّفة) للاحتلال الإسرائيلي في الضفة الغربية وللمستوطنات، إلى جانب إصدارها انتقادات لانتهاكات متكرّرة لحقوق الإنسان يقترفها الجيش الإسرائيلي، ومختلف الأجهزة الأمنية العبرية، بحق سكّان البلاد الأصليين.

ومع أن تقريع بومبيو لهذه المنظّمات دفاعاً عن الكيان العبري يأتي متناغماً مع موقف إدارة ترامب المتطرّفة في دعمها لإسرائيل، والسلوك العام للسياسة الخارجية الأميركية، إلّا أن لعب بطاقة «معاداة السامية» في هذا الوقت تحديداً قد يكون تكتيكاً أخيراً لجذب الناخبين المتردّدين المؤيّدين لإسرائيل في الانتخابات الحالية، واستراتيجية موازية من بومبيو لتعزيز قاعدته بين جمهوره من المسيحيين - الإنجيليين المتصهينين، تعبيراً عن طموحات رئاسية مستقبلية لدورة عام 2024. لكن لا أحد ينكر، أيضاً، تفاقم أزمة الرأسمالية العالمية نتيجة الانقسام الطبقي الفاضح، وتوسّع فجوة الدخول بين الأقلية الثرية والأكثرية المعدمة، والذي تعمّق في ظلّ جائحة وباء «كوفيد - 19»، هذا فضلاً عن أن الأنظمة الليبرالية الغربية - المفلسة فكرياً - تجد نفسها مضطرّة للاستعانة بأسلحتها القديمة ذاتها: الحروب الثقافية، وفي مقدّمها «العداء للسامية».

تقرير

هجوم سيبراني يغرق «إسرائيل» في العتمة؟

وزيرا الدفاع الأميركي والإسرائيلي أمس في تل أبيب (أ ف ب)

يحيى دبوق

بين الحديث المتداول في تل أبيب عن هجوم سيبراني خارجي أدّى إلى قطع الكهرباء عن ثلث الأراضي الفلسطينية المحتلّة، وبين حرص شركة الكهرباء الإسرائيلية الشديد، في المقابل، على التأكيد أن لا هجوم سيبرانياً، يبدو أن الهجوم قد وقع فعلاً. وهو التقدير الأكثر معقولية، في انتظار التأكيدات التي ستُرد لاحقاً، كما هي العادة المتّبعة لدى العدو في حالات مشابهة شهدتها المواجهة السيبرانية، على أكثر من صعيد، مع محور المقاومة.

وبدا لافتاً، منذ اللحظة الأولى لانقطاع الكهرباء، تذبذب رواية إسرائيل، بين رافض ومؤكّد ومشكّك، في أن الانقطاع جاء نتيجة خرق الدفاعات السيبرانية الإسرائيلية، ومن ثمّ التحكّم في حواسيب توزيع الكهرباء بين مناطق في الوسط والجنوب، والعمل على قطع التيار عنها. وأشار المراسل العسكري لـ"القناة 12"، نير دفوري (واللافت تصدّيه هو للتغطية الخبرية ربطاً باختصاصه)، إلى أن ثلاث محطّات توليد كهرباء انهارت الواحدة تلو الأخرى، فبات ثلث سكان إسرائيل، بعد منتصف الليل، من دون طاقة. وأضاف أنه في مقابل تأكيدات شركة الكهرباء أن حمولة زائدة أدّت إلى قطع التيار، "قال لي مصدر أمني مطّلع على التفاصيل إنه في منتصف الليل لا يوجد ضغط قُطري على شبكة الكهرباء، ولا يوجد ضغط على أيّ محطّة توليد، الأمر الذي يعني أن ثمّة احتمالاً كبيراً لكون المسألة تتعلّق بهجوم سيبراني". ووفقاً لتقارير عبرية، شمل انقطاع الكهرباء عدداً كبيراً من المدن والمستوطنات في الجنوب والوسط والشمال، ومن بينها القدس وتل أبيب وبئر السبع وبتاح تكفا وأشدود وعسقلان ونحال سوريك وريشون لتسيون ونتانيا ورعنانا ومستوطنات الجليل الأعلى.

وإن كان حديث إسرائيل قد استقرّ نسبياً، منذ اللحظة الأولى لانقطاع الكهرباء، على أن "هاكر" من إيران أو من "حزب الله" خَرَق سيبرانياً شركة الكهرباء الإسرائيلية، إلا أن الأخيرة عادت صباح أمس للحديث عن أن "الحمولة الزائدة" هي السبب؛ إذ إنها تؤدي تلقائياً إلى تفعيل برنامج الحماية الذاتية لمحطّات توليد الكهرباء، وإيقافها عن العمل. على أن رواية "الحمولة الزائدة"، التي تتناقض مع تأكيدات المصدر الأمني المطّلع على التفاصيل، لا تتوافق أيضاً مع حقيقة "الحمولة المنخفضة" في لحظة انقطاع الكهرباء ما بعد منتصف الليل، علماً بأن برنامج الحماية يُفعّل نفسه لقطع توزيع الكهرباء عن جزء من المستفيدين من الطاقة لتخفيف الحمل، من دون أن ينسحب على محطّات الإنتاج لإيقافها، الأمر الذي يقلّل من صدقية الرواية اللاحقة لشركة الكهرباء.

وكان انقطاعٌ مماثل للكهرباء وقع الشهر الماضي، وشمل كلّ المستوطنات والمدن الإسرائيلية. والسبب الذي أعلن عنه أيضاً، آنذاك، هو "الحمولة الزائدة" التي أدّت تلقائياً إلى إيقاف محطّات الإنتاج عن العمل. وقالت الشركة في حينه إن انقطاع الطاقة استمرّ ثلاث ساعات، بينما أكّد المستوطنون في اتصالات مع وسائل الإعلام العبرية المختلفة أنهم عانوا من انقطاع الكهرباء طويلاً، بخلاف الرواية الرسمية.

يبقى التنبيه إلى أن أنجح الخروق السيبرانية، سواء في ما يتعلّق بالهجوم على قطاع الطاقة الكهربائية أم غيره، هي الخروق التي يُعتقد أو يُظنّ الطرف الآخر المتلقّي للهجمات، في أعقابها، أن السبب مجهول أو يعود إلى أعطال تقنية، ما يعني حِرفية عالية جدّاً لدى "الهاكرز".

> **رواية «الحمولة الزائدة» لا تتوافق مع حقيقة «الحمولة المنخفضة» في لحظة انقطاع الكهرباء**

استراحة

كلمات متقاطعة 3585

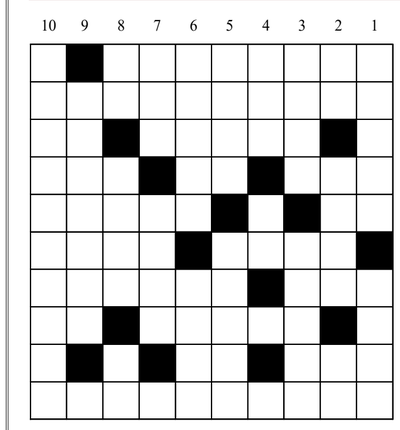

افقيا

1- مدينة يابانية تعرضت لزلزال مدمر أثرّ على المفاعل النووي فيها – 2- شهر هجري – 3- حيوان خرافي – مقياس مساحة – 4- مدينة فرنسية تطل على البحر الأبيض المتوسط – ثرى – أداة شرط وتوكيد – 5- نعم بالأجنبية – أحد أبناء آدم – 6- أخرس – ساء خُلقه وآذى الناس – 7- إلهي – الجندي الذي يُطلق سبيله الى وقت الحاجة أو الاحتياطي – 8- تشغيل مُراقب لمحرك السيارة الجديد بالأجنبية – حرف عطف – 9- أول كلمة تُقال على الهاتف – بواسطتي – 10- من الحبوب يُعرف بالفول السوداني

عمودياً

1- رئيس دولة إسباني راحل – دم يخرج من الأنف – 2- تهيّأ للحملة في الحرب – رجوع من السفر – أكل الطعام – 3- ذات ووجود – عاصمة عربية – 4- تيّس الجبل – كتاب بملكية أرض – 5- مركز وظيفي خال – مدينة أردنية – 6- يعاتبه – عائلة مستشرق إنكليزي راحل – 7- شبه ونظير – من يمشي مشية غير متساوية بسبب علة أصابت إحدى رجليه – 8- متشابهان – ضد أسخن الماء – شتم ولعن – 9- دولة أفريقية كانت تُعرف سابقاً بأفريقيا الجنوبية الغربية – 10- رئيس أميركي راحل

حلول الشبكة السابقة

افقيا

1- سان سلفادور – 2- تدمر – او – دو – 3- رمس – برليوز – 4- اج – مل - دف – 5- سابينا – 6- بدو – انبّ – حت – 7- ولسول – امس – 8- رع – سنّر – 9- سرو – ري – 10- ذو القرنَيْن

عمودياً

1- ستراسبورغ – 2- أدمج – دلع – 3- نمس – سوس – بو – 4- سر – ما – وب – 5- بلبال – سل – 6- فار – ين – سرق – 7- اولان باتور – 8- مر – 9- ودود – حس – ري – 10- روزفلت – تين

sudoku 3585

	8		9	6	4	2		5
6		5					3	
4		2	8					
8		9	7					4
				2			7	
	7	6	5		9	1		
			1	8	3	9		2
9					7		4	
						3	5	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي اوعمودي.

حل الشبكة 3584

2	4	5	1	6	7	8	9	3
3	6	9	8	4	5	7	2	1
7	1	8	9	2	3	4	5	6
1	3	7	2	5	6	9	4	8
9	8	2	7	1	4	3	6	5
4	5	6	3	8	9	1	7	2
8	9	4	6	3	2	5	1	7
6	7	1	5	9	8	2	3	4
5	2	3	4	7	1	6	8	9

مشاهير 3585

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

عالم سلوك حيواني نمساوي (1886- 1982) حائز على جائزة نوبل في الطبّ أو الفيزيولوجيا عام 1973. تركزّ عمله على التحقيقات في التّصورات الحسّية للنّحل

2+4+11+3+10+5 = النبيل ■ 1+6+7 = عاصمة غرينلاند ■ 9+8+6+5 = أسراب الطيور

حل الشبكة الماضية: **يواكيم مبارك**

إعداد
نعوم مسعود

الغضب الشعبي يتعاظم ضد إجراءات الإغلاق (أ ف ب)

كورونا

اللقاح الروسي ينتظر موافقة «الصحّة العالميّة»

أوروبا تحت الإغلاق مجدّداً

علي عواد

بعد 11 شهراً على تفشّي فيروس كورونا في العالم، وفي ظلّ عدم توفّر لقاح أو علاج متاح لجميع الناس بشكل رسمي، وعلى قاعدة «إن كنتَ مطرقة فسيبدو كلّ شيء لك كمسمار»، تجد الحكومات الأوروبية نفسها مضطرّة للعودة إلى فرض إجراءات الإغلاق لمواجهة «الموجة الثانية» من الفيروس، أو كما وصفته المستشارة الألمانية أنغيلا ميركل بـ«الشتاء الطويل والصعب». على أن الإغلاق هذه المرّة لن يكون قاسياً مثلما حصل خلال فصل الربيع الماضي (أقلّه بدايةً)، إذ سيقتصر على الأعمال غير الأساسية وكذلك المسارح وأماكن السهر والتجمّعات. كلّ هذا في ظلّ غضب شعبي متعاظم حول العالم ضدّ الإغلاق، ومخاوف من انعكاساته النفسية والاقتصادية، على رغم تحذير «منظّمة الصحة العالمية» من أن «الموجة الجديدة ضاربة».

وتتضارب وجهات النظر في شأن تلك الموجة، ويبرز من بينها رأيان أساسيان: الأوّل يُعبّر عنه أنتوني فاوتشي، مستشار البيت الأبيض ومدير «المعهد الوطني للحساسية والأمراض المعدية»، في حديث إلى صحيفة «واشنطن بوست»، حيث يقول إنه «من أجل انتهاء الموجة الأولى، يجب أن يصل عدد الإصابات الإيجابية بكوفيد-19 إلى رقم واحد منخفض (تحت العشرة)». ويضيف: «بعد ذلك، ستحدث موجة ثانية عندما يعود الفيروس بعدد إصابات مرتفع». أمّا وجهة النظر الثانية فيُعبّر عنها الدكتور مايك تيلدسلي، من جامعة وارويك، في تقرير نشرته هيئة الإذاعة البريطانية «بي بي سي»، حيث يوضح أنه «يمكن التفكير في الأمر مثل الأمواج على البحر. يرتفع عدد الإصابات ثمّ يتراجع مرّة أخرى، كلّ دورة هي عبارة عن موجة واحدة من فيروس كورونا». ويضيف: «مع ذلك، لا يوجد تعريف رسمي. الأمر ليس علمياً بشكل خاص، وكيفية تحديد الموجة أمر اعتباطي».

وبمعزل عن التسمية، إن كانت موجة أولى مستمرّة أو ثانية كما سمّتها دولٌ أوروبية، فإن أعداد الإصابات اليومية الجديدة بالفيروس تظلّ مقلقة. في أوروبا، تُحصّن البلدان نفسها لمواجهة موجة ثانية من «كورونا»، مثل إسبانيا حيث أغلقت خمس مناطق حدودها يوم الجمعة الماضي، ومن بينها مدريد، بعدما وافق نواب الأمة الخميس الماضي على طلب الحكومة تمديد حالة الطوارئ الصحية لمدة ستة أشهر. من جهتها، تُعدّ بريطانيا الدولة الأكثر تضرّراً جراء تفشّي الفيروس في أوروبا، مع أكثر من 45 ألف وفاة فيها. وبحسب دراسة أجراها معهد «إمبيريال كوليدج» في لندن و«إيبسوس-مورس» شملت أكثر من 85 ألف متطوّع بريطاني، تبيّن أن عدد الإصابات حالياً يتضاعف كلّ تسعة أيام؛ وسيخضع نحو 11 مليون شخص في إنكلترا، أي ما يعادل خمس عدد السكان، خلال الأيام المقبلة، لتدابير محلية هي الأشدّ صرامة في مواجهة «كورونا»، مع الإعلان أمس الجمعة عن تشديد الإجراءات في عدّة مناطق.

وفي ألمانيا، ستُغلَق الحانات والمطاعم والمرافق الثقافية والترفيهية ابتداءً من اليوم حتى كانون الأول/ ديسمبر، في حين ستُحظر إقامات السياح في الفنادق. والهدف من هذه «الإجراءات الخفيفة» هو الحدّ من عدد الإصابات من دون إغلاق الأعمال والمصانع. بدورها، ستمنع فرنسا، التي تجاوزت حصيلة الوفيات فيها 36 ألفاً، سكّانها من مغادرة منازلهم من دون تصاريح، ما يعيد إلى الذاكرة تدابير العزل المنزلي الصارمة التي شهدها العالم مطلع الربيع. وقال الرئيس الفرنسي، إيمانويل ماكرون: «كما هو الحال في أجزاء أخرى من أوروبا، نواجه موجة ثانية تفوق طاقتنا وأصبحنا نعرف أنها ستكون على الأرجح أكثر صعوبة وفتكاً من الأولى»، مؤكداً في الوقت نفسه أن تدابير الإغلاق هذه المرّة ستكون أقلّ تشدّداً. وعلى الرغم من ارتفاع معدّلات الإصابة، أثارت إجراءات السلامة التي فرضتها الحكومة الإيطالية غضب المواطنين. وأطلقت الشرطة الغاز المسيّل للدموع بعد أن احتشد المتظاهرون في جميع أنحاء البلاد ضدّ الإغلاق. كما شهدت إسبانيا وألمانيا احتجاجات مماثلة، ضدّ ما وصفه الناس بـ«الإجراءات الوحشية».

> **وصفت المستشارة الألمانية الموجة الثانية بـ«الشتاء الطويل والصعب»**

وتأتي هذه التطوّرات بعدما قدّم «صندوق الاستثمار الروسي المباشر» طلب تسجيل سريع للقاح «سبوتنك-في» ضدّ «كورونا»، إلى «منظّمة الصحة العالمية». ومع هذه الخطوة، تكون روسيا أوّل دولة أعطت موافقتها على استخدام لقاح ضدّ الفيروس، وأول دولة تقدّم لقاحها إلى "الصحة العالمية". وإذا ما حصلت على موافقة المنظمة، سيصبح لقاح «سبوتنك-في» متاحاً على مستوى العالم في فترة زمنية أقصر.

وفيات

آل يونس وآل الأسعد وآل حلاوي
ينعون إليكم وفاة فقيدتهم المغفور لها بإذن الله
نهى الحاج حسين يونس
أرملة المرحوم عادل حسيب الأسعد
والدتها : المرحومة الحاجة زينات حلاوي.
أولادها: هشام زوجته ديانا عبدالسلام الحر، لمى.
أشقاؤها: وديع وشوقي والمرحومين علي، كامل، يوسف، سليمان ، والحاج أحمد يونس.
شقيقاتها: عائدة والمرحومات زهرة ومريم وبسيمة وليلى وعزيزة وسهام وأمل يونس.
توفاها الله مساء الخميس 29 تشرين الأول 2020 وصلي على جثمانها الطاهر ظهر الجمعة 30 تشرين الأول 2020 ووريت الثرى في جبانة صور.
تقبل التعازي عبر الهاتف :
الأسفون: آل يونس وآل الأسعد وآل حلاوي
هشام : 03/902904
لمى : 03/597567
الأسفون: آل يونس وآل الأسعد وآل حلاوي

الحركة الثقافية - إنطلياس تنعى بمزيد من الحزن والأسى فقيدتها الغالية الرفيقة والزميلة
الدكتورة
تريز بولس الشيخا الدويهي
زوجة المرحوم الأستاذ مجيد قيصر حاتم
وتتقدم من عائلتها بأحرّ التعازي

إعلانات رسمية

إعلان
عن مناقصة عمومية لتلزيم صيانة الخوادم لقواعد البيانات عن العام 2021
يجري الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي في مبناه الكائن في بيروت - شارع بغداد - كورنيش المزرعة في تمام الساعة العاشرة من يوم الثلاثاء الواقع فيه 2020/11/17 مناقصة عمومية بطريقة الظرف المختوم لتلزيم صيانة أجهزة الخوادم لقواعد البيانات عن العام 2021.
يمكن الاطّلاع على دفتر الشروط الموضوع لهذه الغاية في مكاتب المديرية الإدارية للصندوق خلال أوقات الدوام الرسمي.
ترسل العروض في ظرف مختوم وتسلّم باليد إلى بريد المديرية الإدارية لقاء إيصال برقم وتاريخ وصول العرض على أن تصل قبل الساعة الثانية عشرة من آخر يوم عمل يسبق التاريخ المحدّد لإجراء المناقصة.
يهمل العرض الذي يقدّم بغير الطريقة المذكور أعلاه، أو يصل بعد المدة المحدّدة.
بيروت في 28 تشرين الأول 2020
المدير العام
د. محمد كركي

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب محمد فهد قهوجي شهادة قيد بدل ضائع للقسم A/11 من العقار 4913 الخيام.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
طلب عماد مفيد الفياض بوكالته عن فضل الله حمد غازي شهادة قيد بدل ضائع للعقار 3228 ابل السقي.
للمعترض 15 يوماً للمراجعه
أمين السجل العقاري في مرجعيون وحاصبيا
يوسف شكر

إعلان
من أمانة السجل العقاري في صيدا
طلبت المحامية فاديا حمزه وكيلة ريما محمد علويه بصفته مشتري من جوزيف فريد الناشف بوكالته عن سيده الياس الحايك لمورثتها هندومه يوسف الحايك سنّد بدل ضائع للعقار 226 عقتانيت.
للمعترض 15 يوماً للمراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

مبوب

مطلوب

Application software developer needed with experience. Please send CV to wassimtaleb@live.com

Invitation to bid No: 2020-039 High Risk Gloves and Disposal Coverall Tender for 1 Year

The Lebanese Red Cross Society (LRCS) hereby invites sealed bids from manufacturers/ reputed firms/ registered suppliers for the supply of the following supplies/ services.

All documents can be downloaded from http://www.redcross.org.lb/ (Please select "Tender" from the menu at the top right of the page). Tenderers are advised to check the website regularly as any changes or additional information related to this tender will be updated via the website.

Tenders must be submitted in a sealed envelope

Mailing address	Lebanese Red Cross Society Head Quarters, Finance Department – 2nd Floor Spears Street, Kantari, Beirut, Lebanon
Tender deadline	Date. Friday 06 November 2020 Time. 5.00.00 PM PLEASE NOTE. NO BIDS WILL BE ACCEPTED AFTER THE ABOVE CLOSING TIME AND DATE
Bids to be marked	"Tender reference. 2020-039 Do not open before : Friday 06 November 2020"
Deadline for questions	Date. Tuesday 3 November 2020 Time. 5.00.00 PM Bid Should be Submitted in Typing and not hand Written.

Invitation to bid No: 2020-040 Sample Management System

The Lebanese Red Cross Society (LRCS) hereby invites sealed bids from manufacturers/ reputed firms/ registered suppliers for the supply of the following supplies/ services: Detailed specifications and requirements are defined in Annex 3 - Detailed Specifications

All documents can be downloaded from http://www.redcross.org.lb/ (Please select "Tender" from the menu at the top right of the page).

Tenderers are advised to check the website regularly as any changes or additional information related to this tender will be updated via the website.

Tenders must be submitted in a sealed envelope

Mailing address	Lebanese Red Cross Society Head Quarters, Finance Department – 2nd Floor Spears Street, Kantari, Beirut, Lebanon
Tender deadline	Date. Wednesday 11 November 2020 Time. 5.00.00 PM PLEASE NOTE. NO BIDS WILL BE ACCEPTED AFTER THE ABOVE CLOSING TIME AND DATE
Bids to be marked	"Tender reference. 2020-040 Do not open before : Wednesday 11 November 2020"
Deadline for questions	Date. Wednesday 04 November 2020 - Time. 5.00.00 PM Bid Should be Submitted in Typing and not hand Written.

www.al-akhbar.com
الأخبار al-akhbar
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
هاتف 01-759500
فاكس 01-759597

الأخبار
al-akhbar
السبت 31 تشرين الأول 2020 العدد 4187

رحيل أحد مؤسّسي المحترف التشكيلي المغربي

محمد المليحي... سيّد الألوان الأفريقية المقيمة بين التراث والحداثة

رشيد وحتي

فُجِعَ الوسط الفني المغربي والعربي برحيل الفنان التشكيلي محمد المليحي، قبل أيام في أحد مستشفيات باريس، جراء أزمة تنفسّية حادة ناتجة عن إصابته بوباء كوفيد . 19. المليحي (1936 ـ 2020) ابن مدينة أصيلة، ذات التقاليد المعمارية والفنية الشعبية العريقة. التحق بمدرسة الفنون الجميلة في تطوان، ثم بالمعهد الفني في إشبيلية، فَمعهد مدريد في 1955، ليواصل بعدها مساره الدراسي التكويني بين إيطاليا وفرنسا، ويستقرّ بعدها في نيويورك بدءاً من عام 1962.

بعودته إلى المغرب عام 1964، سيقوم بتدريس التشكيل والنحت والتصوير الفوتوغرافي في مدرسة الفنون الجميلة في الدار البيضاء. لكن التحوّل الأهم في مسار المليحي الإبداعي سيحدث في 1965، مع فوران المدّ الثوري لحركات التحرّر الوطني في مواجهة الاستعمار ومساءلة الثقافة الكولونيالية بلهجة نقدية. هنا، انتسب إلى جماعة مجلة «أنفاس»، التي كان يديرها الشاعران عبد اللطيف اللعبي ومصطفى النيسابوري، حيث تبلورت طروحات ثقافة وطنية تقطع مع الإرث الاستعماري الفرنسي. وقد تُرْجِمَتْ هذه الطروحات والسجالات لدى المليحي في شكل بحث مُضنٍ عن تأصيل وتأسيس فنٍّ تشكيلي مغربي، يقطع مع ذاكرة الفولكلور الشعبوي ومع رثاثة الفن «الفطري»، اللذَيْن شجعهما أنصار التغريب والبقاء على صلة تبعية مع المتروبول الفرنسي.

وبذلك، صاغ المليحي حصة مغربية أصيلة في المشهد البصري الوطني، مستلهماً فن الزليج (الأرابيسك) المغربي وجداريات الشوارع والفُسْقِيَّات الموريسكية الواردة من الأندلس الإسلامية.

بعد إجهاض تجربة مجلة «أنفاس» ومنعها، واعتقال كامل طاقمها تقريباً، والمنتمي لمنظمة «إلى الأمام» الماركسية-اللينينية السرية، أسّس المليحي، في 1971، مجلة Intégral (كامِل)، ليعقبها بتأسيس دار «شُوفْ»، كمؤسسة متخصصة في التعريف بالفنون البصرية المغربية، تشكيلية كانت أم سينمائية. ومن بين إصداراتها المميزة التي شكلت، وما زالت، علامة بارزة في تاريخ الفن المغربي المعاصر: كاتالوغ الفنان المغربي أحمد الشرقاوي، كتجميع لأهم إنتاجه التشكيلي المعروف ساعَتَئِذٍ، مع نصوص تحليلية ذات قيمة نقدية جمالية عالية، كتبها كلّ من عبد الكبير الخطيبي، طوني مارَيْني وإدمون عمران المالح.

لم يتوقف إشعاع المليحي الثقافي في المغرب عند هذا الحد، بل زادَه إشعاعاً عربياً ودولياً، حين أطلق مع محمد بنعيسى، جمعية «المحيط»، التي كانت تشرف على «موسم أصيلة الثقافي الدولي»، في دورات صيفية، منذ 1978 لغاية اليوم. بين 1984 و1992، شغَل المليحي منصب رئيس مديرية الفنون في وزارة الثقافة المغربية. وعاش، حتى وفاته، متنقلاً بين مراكش وأصيلة، منظّماً معارض وندوات وورشات، ومساهماً في وضع البنية التحتية الحديثة لشبكة متاحف المغرب.

بصمة المليحي الشخصية واضحة، بإصراره دوماً على الاشتغال باللوح الخشبي، بدل القماش، وبخامة ألوان وأشكال هندسية متموجة تكاد تخصّه دون غيره من الفنانين التشكيليين المغاربة، رغم أنها مستوحاة من إرث مغربي أفريقي مشترك يستند إلى زَرْكَشَاتِ الزرابي (الأبسطة) وموتيفات نقوش الحِلِيِّ الفضية وتربيعات ومعينات الزليج وتموجات البحر المتوسط. كما له جداريات وتجهيزات معمارية، أنجزها مع المِعماريَيْن عبد السلام فَرَاوِي وباتريس دو مازيير Patrice de Mazières، ما سمح له برفد المعمار المغربي بتنظيم ديناميكي لفضاءات وأشكال مميزة نقلت الأمكنة والجدران والفُسْقِيَّات، بل وحتى ملتقيات الطرقات، من دورها الوظيفي إلى دورها الجمالي الذي سمح للساكنة، والأطفال المتمدرسين خصوصاً، بتنمية تربية بصرية لديهم، أسهمت في انتعاش البيئة وقيم المواطَنة.

في 1995، احتفى «معهد العالم العربي» في باريس بتجربة المليحي من خلال معرض شمل كل أعماله، في موازاة ندوة نقدية وحلقة نقاشية تناولت فَنَّه.

يُجْمِلُ المليحي تجربتَه قائلاً: «تأثَّرَت تجربتي بموضوعات تعكس، بطريقة رمزية، مختلف الأوضاع السوسيوثقافية لحقبة الستينيات. لكنني أَخْلُصُ اليوم إلى أن مشاغلي التي تعود لاثنتين وثلاثين سنة مضت، هي نفسها اليومَ. وها أنا أعرض من جديد في قاعة «باب الرواح» (التابعة لوزارة الثقافة ـ الرباط)، أعمالاً أنجزتُها بين 1983 و1997، وهي تُعَبِّرُ عن نفس الهواجس الفكرية، نفس الأفكار الشكلانية التي لا تفارقني، وتسكنني على مدار ثلاثة عقود، لكنها تتجدد، كلَّ مرة، في أشكال بصرية جديدة» (من كاتالوغ معرض «باب الرواح»، 1997).

مات محمد المليحي، سيد الألوان الأفريقية الحارة، المقيمة بين التراث والحداثة؛ ولكن ستبقى جدران المدن المغربية وساحاتها العامة ومتاحفها تصدحُ ببهاء ألوانه وأشكاله، على لحن الفنان المغربي الراحل الحسين السلاوي: «يَا مُوجَةْ غَنِّي/ يا بحر غني/ يا موجة غني/ على البحر نْغَنِّي..»، موجة بكامل ألوان الطيف المتوسطي، بحرارة الصحراء الأفريقية المديدة.

التحق بمجلة «أنفاس» التي انتمى طاقمها إلى منظمة «إلى الأمام» الماركسية-اللينينية السرية

96 عاماً على الانطلاقة ... تحية فنية للرفاق

مع حلول الذكرى السادسة والتسعين لتأسيس الحزب الشيوعي اللبناني، تشهد مناطق عدّة أنشطة منوّعة. في هذا السياق، يدعو قطاع الشباب في الحزب المذكور في منطقة صور (جنوب لبنان)، غداً الأحد، إلى حضور تحية فنية تتخلّلها باقة من الأغنيات والمقطوعات يقدّمها الفنان الملتزم وسام حمادة (الصورة) بمرافقة فرقته الموسيقية. يتخلّل النشاط المرتقب أيضاً عرض فيلم قصير عن تاريخ تأسيس الحزب الشيوعي اللبناني.

تحية فنية في الذكرى الـ 96 لتأسيس الحزب الشيوعي اللبناني: غداً الأحد ـ الساعة السادسة مساءً ـ مدينة صور (الكورنيش الشمالي ـ مقابل ساحة العلم/ جنوب لبنان). للاستعلام: www.lcparty.org

تعلّموا الأبجدية مع «المتحف الفلسطيني»

في سياق أنشطته الرقمية، يدعو «المتحف الفلسطيني»، في 9 تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل، إلى حضور ورشة «دار دور... الحروف تقفز عن السُّطور!» مع الفنان خالد جرادة. في إطار التعريف بالورشة التي ستُجرى على تطبيق «زوم» وتستهدف الأطفال الذين تراوح أعمارهم بين 4 و7 سنوات، يقول المنظمون: «في صباح يوم حارّ، قررت الحروف أن تقفز عن السطور التي ترقد عليها داخل الكتب، بحثاً عن حلّة جديدة وألوان فريدة. لماذا قفزت الحروف؟ وإلى أين ذهبت؟ تعالوا نكتشف ذلك معاً، ونتعلّم عن الحروف الأبجدية العربية بطريقة مسليّة».

الاثنين 9 تشرين الثاني ـ الساعة الخامسة بعد الظهر بتوقيت بيروت ـ تطبيق «زوم». (للتسجيل: activities@palmuseum.org)

إبراهيم نصر الله... «الملهاة الفلسطينية» في «بيت القصيد»

يحلّ الروائي والشاعر الفلسطيني إبراهيم نصر الله (الصورة)، اليوم السبت، ضيفاً على برنامج «بيت القصيد» على شاشة «الميادين». في هذا اللقاء، يتحدّث نصر الله مع الإعلامي والشاعر اللبناني زاهي وهبي عن تجربته الروائية الغزيرة، وانكبابه على التأريخ الأدبي للنكبة الفلسطينية، وعلى إعادة إحياء الذاكرة الفلسطينية روائياً من خلال مشروعه القيم الذي يحمل عنوان «الملهاة الفلسطينية». يشرح الكاتب الفائز للمرة الثانية بجائزة «كتارا» عن «ثلاثية الأجراس»، سبب اختياره عنوان الملهاة، وأهمية التأريخ الأدبي «الأصدق» من التأريخ الرسمي أو المدرسي، ويعلن رفضه الصريح لموجة التطبيع العربي مع الكيان الإسرائيلي المحتل، متطرّقاً في الوقت نفسه إلى دور الأدب والفنّ في مواجهة محاولات تزييف الوعي وطمس الذاكرة. في حلقة الليلة أيضاً قراءات شعريّة لنصر الله، بينها قصيدة مهداة إلى بيروت كتبها إثر التفجير الكارثيّ الذي هزّ مرفأها في الرابع من آب (أغسطس) الماضي. كما يتخلّل الحوار رأي من الكاتب والناقد المصري سيد محمود في الجوائز الأدبية وأثرها على انتشار الكتب.

«بيت القصيد»: اليوم السبت ـ الساعة التاسعة مساءً على «الميادين»

«مونتي كارلو» شعبي وتراث

تضرب فرقة «مونتي كارلو»، في السابع من تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل، موعداً جديداً مع الجمهور في «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت)، حيث ستجري المحافظة على كلّ الإجراءات المُتّبعة للوقاية من فيروس كورونا. بين الأعمال الشعبية والتراثية من العالم العربي، سيتنوّع برنامج الحفلة المنتظرة، فضلاً طبعاً عن أغنيات ومقطوعات موسيقية خاصة بالفرقة. تتألف «مونتي كارلو» من الفنانين: أشرف الشولي (عود ـ الصورة)، ضياء حمزة (هارمونيكا وبيانو)، جورج الشيخ (ناي) وأيمن سليمان (إيقاع).

حفلة «مونتي كارلو»: السبت 7 تشرين الثاني ـ الساعة التاسعة مساءً ـ «مترو المدينة» (الحمرا ـ بيروت). للاستعلام: 76/309363

الأخبار
al-akhbar

السبت 31 تشرين الاول 2020 العدد 4187
العدد 4187 السنة الخامسة عشرة
Samedi 31 Octobre 2020 no 4187 15ème année

كلمات

ملحق
أسبوعي
www.al-akhbar.com

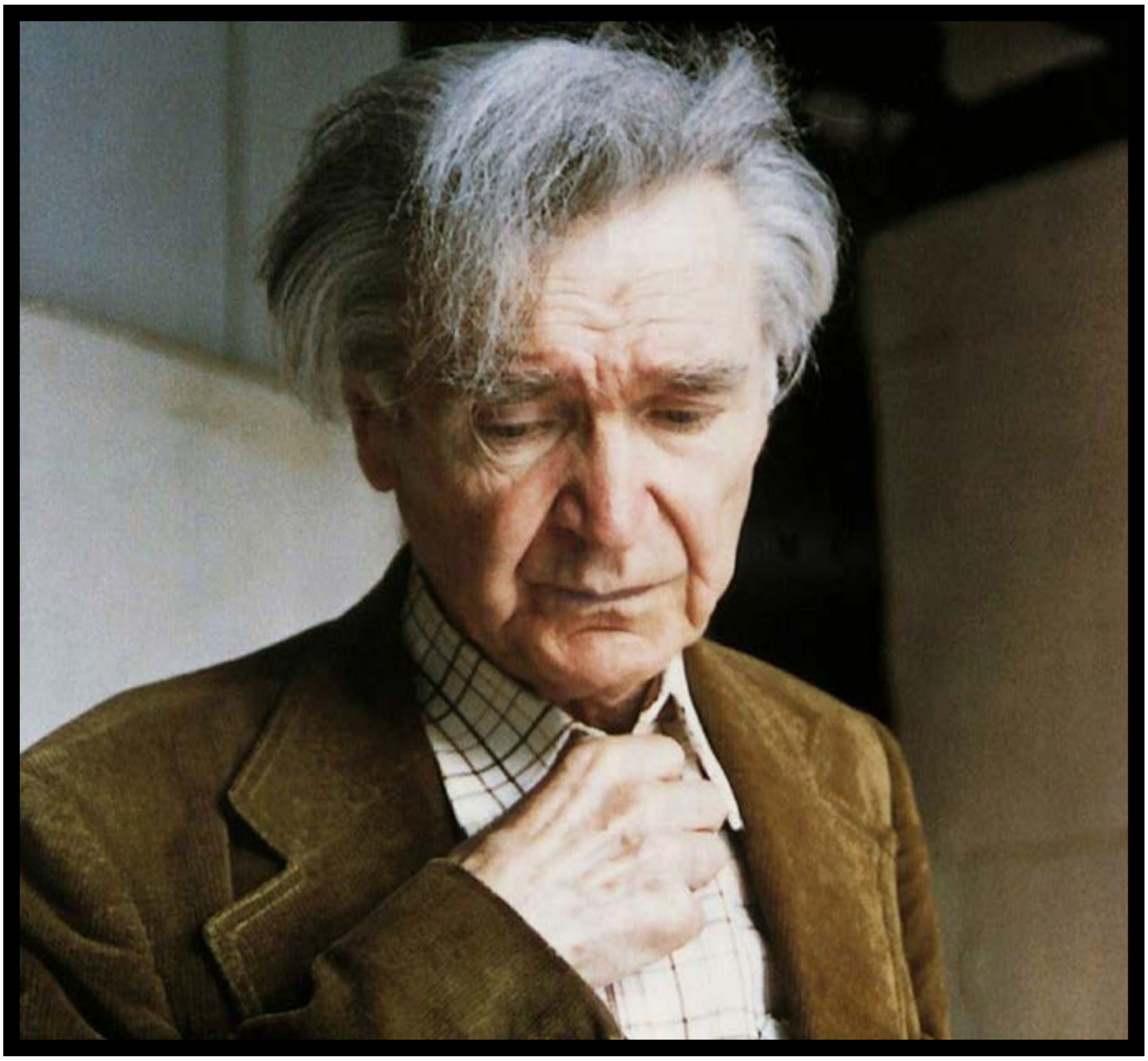

إميل سيوران
الكتابة ثأراً

محمد ناصر الدين

«لا أرغب في الكتابة إلا وأنا في وضع قابل للانفجار، فريسة الانفعال أو الانقباض، في ذهول متحول إلى هيجان، في جوّ انتقام تحل فيه الشتائم محل الصفعات واللكمات. يبدأ الأمر عادة هكذا: رجفة خفيفة لا تلبث أن تشتدّ شيئاً فشيئاً، مثلما هو الشأن بعد شتيمة تلقيناها دون أن نردّ عليها. العبارة تساوي الرد المتأخِّر أو الاعتداء المرجَأ. أكتب كي لا أقع في ردّ الفعل المباشر وكي أتجنّب أزمة. العبارة تنفيس، ثأر غير مباشر يحقّقه من لا يستطيع أن يصبر على إهانة وليس له غير الكلام كي ينتفض على أشباهه وعلى نفسه»*. بينما تغطّي كتب «صانعي الفرح» رفوف المكتبات، تبدو أعمال إميل سيوران (1911 ـ1995) استثناءً محبّباً نعرف فيه أن ثيمات مثل اليأس والقلق والرعب هي بديل خارق للبحث النهم والممل عن الطمأنينة. قرون طويلة مرت على عصور «الأنوار» وعقلنة الإنسان والمجتمع، لكن القرن المنصرم ومطالع القرن الحالي قد قذفا في وجوهنا كل الحلول المجترحة المكنة: من الليبرالية إلى التوتاليتارية وعودة المدّ الديني والأصولية في المجتمعات كافة. حلول وضعت البشرية أمام المخاطر الكبرى وهي تدّعي اجتراح المعجزات: قضى إميل سيوران حياته في التنقيب، بدقة صاقل الجواهر، في مناطق الظل وفيالق الزلازل الإنسانية، حيث تكمن «الأفكار السوداء»، كما أوضحت سوزان سونتاغ في نقدها لأعمال العملاق المهاجر إلى فرنسا من رومانيا التي «في لحمها تسيل بيزنطة وتتسكّع مرة في أوروبا ومرة في الشرق» كما يقول شاعرها مرسيا دينسكو. كتابة سيوران ترتفع عن كلّ منهج فلسفي، إذ لا يصوغ صاحب «المياه كلها بلون الغرق» أفكاراً ضمن نسق معين أو يسعى لاختراع المفاهيم: أن نفكر، بحسب سيوران، هو أن نحدد وضعية هي أقرب لتناقضات كائن فرد يقف وحيداً أمام الوجود منها إلى البراهين التي يبحث عنها العقل المفكر. يبدو سيوران كآخر المنتمين إلى تلك السلالة القديمة من العظماء ممن نزلوا بالفكر إلى الشارع وجعلوا منه طريقة للعيش، حيث يختفي ذلك الحد بين العام والخاص، لتصبح الحياة بأسرها «تمارين في الإعجاب» (1986)، وهو عنوان كتابه الذي تُرجم أخيراً إلى العربية عن «منشورات الجمل» بترجمة آدم فتحي. تبدو صورة صاحب «مثالب الولادة» أقرب إلى بورتريه معاصر لديوجين الكلبي مخالفاً الآخرين في سعيهم نحو الكمال الإنساني. إذ أن صاحب «تاريخ ويوتوبيا» المهووس بالتاريخ كان شغوفاً بكلّ شيء، إلّا بالمطلق واليوتوبيا، رغم اتهامات له في شبابه بمحاباة فاشية يمينية رومانية. أمر لم ينكره بالمطلق: «أفكر في أخطائي الماضية ولا أريد أن أتنكّر لها؛ سيكون الأمر بمثابة الدوس على شبابي، وهذا ما لا أريده بأي ثمن». كان في اختيار سيوران للفرنسية لغةً للكتابة وهجره نهائياً للغته الأم عام 1946 نوعاً من النحت في الصخر، إذ أن هذه اللغة قد أخذت برأيه شكلها النهائي في القرن الثامن عشر وتحوّلت إلى «لغة ميتة»، ملزماً نفسه أن يفكّر بالفرنسية ضد نفسه، وأن يفكّك لغته الأم على ضوء لغة «هندسية، فقيرة شعرياً ومنزوعة القداسة»، ليعيد كتابة مؤلّفه الأول بالفرنسية «رسالة في التحلل» لمرات أربع، حيث ينفي الكاتب نفسه «خارج الكلمة» وحيث يكون «تغيير اللغة بالنسبة للكاتب كتغيير الديانة».

يبدو سيوران أكثر ثقة في صياغة المشكلات لا الحلول، وتكون الكتابة مرآة ناصعة لتأمّل وإثبات وتصحيح لوضعية الكائن أمام الوجود. بأناقة الأسلوب، والشذرات التي تلمع كالبرق الشعري، وأصالة الكلمات الحادة كالنصل، تبدو أعمال سيوران أشبه بلعبة في الفكر ولعبة في اللغة، تنطلق من الحياة وتعود إليها، بحيث يتحول الانتحار مثلاً إلى أقنوم أدبي وإلى فرضية تساعد على الحياة. في تمارين سيوران، نقرأ أن «الكتابة ثأر للمخلوق وردّه على خليقة غير متقَنة».

مقطع من «تمارين في الإعجاب» ـ ترجمة آدم فتحي ـ منشورات الجمل، 2020

ملف

«التجديف» في الفنون: إلهام أم إساءة للرموز الدينية؟

في السابع من شهر كانون الأول (ديسمبر) عام 2015، تمّ الهجوم على مركز المجلة الأسبوعية الساخرة «شارلي إبدو» في باريس، من قِبل مجموعة من المتشدّدين، كردّ فعل على الرّسم الكاريكاتوري لنبيّ الإسلام، في ما اعتُبر كتجديف بالمعتقد وإهانة للمسلمين وإهانة لرمز مقدّس من رموزهم، ما أدّى الى مقتل عدد من عمّال المجلّة وأحد أفراد الطاقم البوليسي. إنّ هذا الحدث الذي أثار اعتراض عدد كبير من الأوروبيين وحمل عدداً كبيراً للتظاهر معبّرين عن رفضهم الإرهاب والعنف وتأكيد حقّ الفرد في حرية الرأي والتعبير، ما لبث أن تذكّره العالم مرّة أخرى قبل أيام معدودات، حين أقدم شابٌّ شيشاني مسلم على قطع رأس مدرّس فرنسي في مدينة باريس، لعرضه الكاريكاتور مرة أخرى أمام الطلاب، ضمن إطار النقاش حول حرية الرأي والتعبير. يُعتبر موضوع التجديف من الأمور الحاضرة منذ وجود الأديان، تختلف الأحكام باختلاف الدين وتطوره التاريخي، تحددها المراجع الدينية العليا، كالكنيسة أو الفقهاء المسلمين كما تتدخل القوانين الوضعيّة لتنظيم هذه الأمور. في هذا البحث، سأستعرض موضوع «التجديف» في الفنون وتطور أحكامه في التّاريخ، وكيف تختلف الأحكام في قضاياه، بالتركيز على رأي الكنيسة من دون التعمّق برأي الإسلام في هذا الموضوع، لأنّ الإسلام حسم منذ البدء، إذ حرّم تصوير الله وأنبيائه وأئمته ورسمهم. يتجلّى ذلك على سبيل المثال في عدم اللجوء إلى التزيين داخل المساجد بأيقونات تُظهر إطلالتهم ووجوههم والاستعاضة عن ذلك بالفسيفساء وفنّ التخطيط، بعكس الكنيسة التي لجأت إلى الرسم كوسيلة للتثقيف الديني

فداء سبيتي *

نبذة تاريخيّة

في القرن السّادس ميلاديّاً، أعارَ البابا جورج الأوّل اللوحات الفنيّة بمضمونها الديني أهمّيةً كبيرة. إذْ اعتبر أنّ «الرّسم هو بالنسبة للأميّين بمثابة الكلمة لمن يستطيع القراءة». هذا القول ناقض بدوره تيارات دينيّة أخرى متزامنة ومغايرة، اعتبرت أن رسم المسيح أمرٌ غير جائز باعتباره صورة الإله التي «لا يمكن وصفها، فهو خارج عن نطاق الوعي الإنساني، وصورته لن تتغيّر وليس لها مقاييس. ولذلك فلن يعدله أيّ رسم يمثله». مع ذلك، ما كان من الفنانين إلّا أن اتبعوا الكنيسة التي تدعو إلى رسم الرموز الدينية لإرضائها والتقرّب منها، إلّا أنّ هذا الوضع سيتغيّر ليعكّر مزاجها ويخلق نقاشات بينها وبين الفنّانين، ويطرح أسْئِلة حوْل ما هو مسْموح وما هو ممنوع في رسم الرّموز المقدّسة.
استعانَت الكنيسة في بادئ الأمر بالرسّامين بهدف إيصال رسائل دينيّة وقدسيّة من خلال سرْد عذاب المسيح وصلبه عبْر اللوحات الفنيّة من دون أن تصبو للسماح بالتّمادي أو إطلاق العنان لمخيّلة قد تصل إلى مرحلة الإساءة للدين. من أهداف الكنيسة ورسالتها التي تبلْورت، خاصّةً في عصْر النّهضة، هو التأثير على الشعب عاطفيّاً ونفسيّاً من خلال الفنْ، الذي سيمجِّد بالتأكيد المضمون الديني لهذه الفنون: «إذْ كلّما تكرّر ذكر المثل الأعلى في العمل الفنّي، حفرت هذه المضامين عمقاً في الذّاكرة، هي التي ستدعو النّاس إلى اتباعها (محاكاتها)، لأنّ تشريف اللّوحة هو تشريف مضمونها، ومن يقدّس اللّوحة يقدّس ما تحتويه». (Konzil von Nizäa، 787 n.Ch).

القرن التاسع عشر ونقد الألوهية المطلقة

أحْدثَ النصف الثاني من القرن التاسع عشر قفزةً نوعيّةً في مجال العلْم والفلسفة والفن، تبلْور من خلال اكتشاف تقنيّة التصوير من ناحية والمدرسة الفلسفيّة الوضعيّة وعلى رأسها أوغِست كومتْ، كذلك الفلسفة العقلانية والتجريبية من ناحية أخرى. أدّى هذا التطوّر إلى تغيير في فهم فكرة الإله، فتمّ نقد الألوهيّة المطلقة التي لا تقبل أيّ مس، زاد على ذلك ظهور النظريّة الداروينية التي شكّكت في نظريّة الخلق الذي كان قد تبنّاها سِفر التكوين (Buch Genesis). هذا التطوّر الفكري في فهم موضوع الإله والخلْق وعلاقته بالفرد، امتدّ حتّى القرن العشرين.
اتخذت الفنون الدينية المعاصرة منحى تحرّرياً جديداً، فكسر الفنانون كلّ القيود لتحفيز المشاهد على فهم ورؤية وقراءة الحقائق الدينية في اللّوحة الفنّية بطريقة مختلفة تنبع من التّجربة والرّأي الشخصي للفنان. هذا التحديث وضعَ الكنيسة على الهامش بعدما تفاعل الفنانون تجاه سيطرة الكنيسة بالتجاهل والرفض، إلى درجة أنّه يمكن القول بأن الفن قد اشتاق إلى المسيح «الإله» الذي لم يثبت يوماً على شكل واحد!

في التصوير الفوتوغرافي

يَعتبر المنظّر الثقافي الفرنسي باول فيريليو أنّه بنهاية القرن الثامن عشر، انتهى المفهوم التقليدي للجماليات والمنطق، ليحمل القرن القادم معه أي التاسع عشر حقبة جديدة ستؤثّر على الفنون عامة وتهيّئ للفن الفوتوغرافي ولفنّ الفيلم مكانةً جديدةً على السّاحة الثقافية. اعْتُبِرَتْ التقنيّات الجديدة وسيلةً إيجابيّةً للتعبير عن المشاعر والأفكار بسبلٍ مستحدثة. وطوّر بذلك فنّ التصوير الفوتوغرافي هذه الآليّة التقليدية، لتفرض دورها في نتائج ستقرأ بطريقة مختلفة، فظهر الفنانون المعاصرون خلال تموضعهم بمعالجة الدّين في فنهم «كما لو أنّهم قد فهموا مضمون الكتب المقدّسة أكثر من غيرهم بأشواط».
استخدم الفنّانون فن التصوير الفوتوغرافي لعرض حياة المسيح. ولهذا الغرض، استعاروا أحياناً شخصهم ليلعبوا دور المسيح في الصّورة. مع تطوّر هذا الفن، أُتيحت إمكانيات أكثر لاستعراض لقطات من الحياة الدينية المسيحية بأساليب جديدة، حتى اعتُبر هذا الفن في القرن العشرين بمثابة «وسيلة لنقد الدين والوسيط في خلق الشك به». إذْ من خلال سلسلة من المعارض الفنيّة، يمكن استنتاج علاقة جديدة بين الفن والدّين، تجعل من اللّوحة الفنيّة مشهداً مختلفاً عن الأعراف والتّقاليد الفنيّة المتّبعة.
في الوقت الذي كان فيه الفن ملهِماً للكنيسة، تبدّلت الأدوار ليصبح الدين مصدر إلهام للفنانين. لكن بعض أعمالهم الفنية خلقت إشكاليات على صعيد القوانين الوضعية المحليّة وكذلك على صعيد الكنيسة كما على الصعيد الاجتماعي، بعدما اتُّهمت تلك الأعمال بالتجديف أو ما يعرف بـ «البلاسفيمي» (Blasphémie). من تلك الأعمال، نذكر على سبيل المثال العمل الفوتوغرافي «بول المسيح» (Piss Christ) لسنة 1987 للفنان الأميركي أندرياس سِرّانو Andreas Serrano الذي يتضمّن عمله الفني المسيح مصلوباً وغاطساً في كوبٍ من البَوْل. هذا العمل الذي عُرضَ في معرض في مدينة أفينيون الفرنسية عام 2011 تم تكسيره من قِبل المتشدّدين المسيحيين، ما أسفَ له الفنّان، إذْ اعتبرَ أنّ عمله فُهم بطريقة خاطئة. فهو فنان مسيحي كاثوليكي ولم يقصد أبداً الإساءة أو التجديف بدينه. سِرّانو أراد أن يظهر المسيح في هذا العمل كإنسان من لحمٍ ودم تسري في جسده سوائل مختلفة ككل فردٍ منّا بحسب قوله. وتجدر الإشارة إلى أنّ الفنّان قد فاز عن عمله هذا بجائزة الفنون البصرية التي نُظّمت من قبل «متحف مركز الجنوب الشرقي للفن المعاصر» في شمال كارولاينا المدعوم من «الصندوق الوطني للفنون»، وهو عبارة عن دائرة حكومية تابعة للولايات المتحدة الأميركية.
من أعمال التصوير الفوتوغرافي التي أثارت النّقاش والنّزاع على السّاحة الدينية والفنية في ميونيخ في ألمانيا عام 2009 هو العمل الفوتوغرافي «مادونا مع طفل» Madonna mit Kind للفنّان السوري ربيع جرجس، وطبعاً يُقصد هنا بمادونا السيدة العذراء. في هذا العمل الفني، نرى مباشرة في مركز اللوحة سيّدة منقّبة ترتدي عباءة سوداء تغطي جسدها ووجهها بشكل كامل وهي تحمل بكفّيها المغطين بالكفوف السوداء طفلاً عارياً فاتح البشرة وهو يحاول أن يرضع من ثديها اليمين، وهو العضو الوحيد الذي يمكن رؤيته. إلّا أنّ الفنّان أراد أن يكون هذا الثدي المُرضع منزوع الجلد وباللون الأحمر الدامي.
أن نرى مادونا مغطاة بشكل كامل بتلك العباءة السوداء هو أمر غير معروف، ولم يكن له حضور في الإيكونوغرافيا أو علم دراسة الأيقونات في الدين المسيحي، خاصّة بهذا الشّكل الذي يُظهر العذراء بلباس هو بحسب النّظرة العفوية أقرب الى رداء المرأة المسلمة. فكيف يمكن لرمز من الرموز المسيحية أن يظهر برداء إسلامي محض؟ وماذا أراد الفنّان أن يقول من خلال ذلك؟ وما كان ردّ فعل الكنيسة على هذا العمل؟
عُرض هذا العمل الفني ضمن معرض «الإيمان غير محدود» Belief Unlimited في عام 2009 الذي نُظّم في مدينة ميونيخ وكان هدفه الحوار الديني والثقافي بأسلوب معاصر، من خلال أعمال فنيّة متنوّعة لباقة من الفنانين المختلفي الجنسيات والأديان. بعد النجاح الذي حظي به هذا المعرض، تم اختيار بعض الأعمال ومن ضمنها «مادونا مع طفل» لعرضها في كنيسة ضمن مهرجان نُظّم في ما بعد في المدينة نفسها. لكن بطلب من رئيس الأساقفة، تمت إزالة عملين فنيين تضمنّا امرأة منقّبة ترتدي البرقع، إحدى هذه اللوحات هي لوحة الفنان جرجس. في حوار أجريته مع الفنان، روى كيف تفاجأ بردّ فعل رئيس الأساقفة، وكيف عَرضت عليه الكنيسة البروتستانية عرض لوحته تلك لديهم في «كنيسة سانت لوكاس» في ميونيخ.
إذا أردنا أن نصنّف اللوحة من حيث الشكل، سنضعها إيكونوغرافياً في خانة لوحات «العذراء المرضعة» Maria Lactans. إنّ مشهد المرضعة له جذور تعود إلى الحضارة المصرية، فنرى الإلهة إيزيس تُرضع طفلها هوروس لترمز إلى الخصوبة. وفي القرن الرابع عشر، اتّخذت صورة العذراء المرضعة معنى آخر، فأصبحت المرضعة هي مريم العذراء الإنسانة التي تعطي ابنها الإله صفة الإنسان من خلال حليبها. في عصر الباروك، نرى المرضعة العذراء في فن النحت حيث يتدفق الماء من ثدييها بغزارة. في القرن الثامن عشر، أصبح حليب العذراء بمثابة المخلّص، فنرى بعض المنحوتات التي تظهر أحد قدّيسي القرن الثالث عشر وهو يرضع من ثدي العذراء. بالعودة إلى «مادونا مع طفل» والثدي المعنّف المنزوع الجلد لامرأة ترتدي للوهلة الأولى رداء إسلامياً في محاولة إرضاع الطفل المسيح الذي تحتضنه بكفّين سوداوين، هل يعتبر ذلك صورة محدثة ومعاصرة للعذراء المرضعة؟
ببحث تاريخي في ما ترتديه الشخصية التي تمثل مادونا بردائها الأسود الذي يغطّي كلَّ جسدها ما عدا ثديها المنزوع الجلد، نستنتج أن هذا الرداء لا يمثل بالضرورة ـ كما سيعتقد الناظر للوهلة الأولى ــ رمزاً مسيحياً بلباس إسلامي، إنما حقبات دينية مختلفة سبقت الإسلام وارتدت بدورها غطاء الوجه والجسد. لكن ماذا عن الثدي المنزوع الجلد؟ يعتبر الفنان أنّ مادونّا أو السيدة العذراء تمثل في هذا العمل صورة كل امرأة حجبت جسدها عن الخارج. فالمرأة بغطائها لجسدها تخفي هويتها وحقيقتها الإنسانية. فالطبيعة وهبت جسد المرأة معاني كثيرة، ستترجم في حال حجبها عن الرؤية بمعنى أوحد هو المعنى الجنسي. هذا الحجاب يُفهم بمثابة الحدود ما بين جسد المرأة والخارج، فهو الفاصل بين المرأة والآخر. هذا التهميش للمرأة وحصرها في دور واحد وهو الجنس، سيجرح وسيبدل من مفهوم أنوثة المرأة. هذا التبدل سيسلخ جلدها . ولذلك الثدي كما نراه ــ تلك المفاهيم الموروثة ستنقل من جيل إلى جيل وسيرضعه الأطفال ليحملوه معهم في الحياة القادمة. نعم إنها العذراء المرضعة المحتوية أنوثةً ونعمةً ترضع طفلها المسيح الذي سيحمل معه هذا الجرح إلى العالم كما يشرح الفنان. إذن المضمون إنسانيّ محض ولا يهدف أبداً إلى إهانة أيّ دين من الأديان.

«بول المسيح» (1987) للاميركي اندرياس سِرّانو الذي صرّح أنه اراد ان يظهر المسيح كـ «إنسان من لحمٍ ودم»

حجاب المرأة الذي عُرف في شبه الجزيرة العربية تمتد جذوره إلى اليهودية والبيزنطية وكذلك المسيحية، وما دعمه في الإسلام هو الاجتهاد والأحاديث

استطراد: السرد التاريخي لمفهوم الحجاب

ظهر أقدم تعبير لكلمة حجاب في عبارة «سِتْر» في القرن الخامس قبل الميلاد في سِفر الخروج Exodus ثاني أسفار العهد القديم، حيث سترَ موسى وجهه خوفاً من الوحي الإلهي الذي أُنزل عليه. بالإضافة إلى ذلك، فإن حجاب الوجه والرأس هو عادة قديمة تعود إلى ثقافات ما قبل التاريخ، وكانت تخص الرجال كما النساء. كان للحجاب أيضاً دوره في كتب العهد القديم والثقافات الإغريقية القديمة. مثلاً في عهد المشرّع الإغريقي صولون عام 561 ق.م.، فُرض على المرأة الحرّة «المَصونة» أن تغطي رأسها بينما الغانية حُرمت من ذلك. أما في كتب العهد القديم الدينية، فاعتُبر أنّه من شيم المرأة وعلامات فخرها ارتداء الحجاب وغطاء الوجه. أما سفر دانيال، فقد ذكر عن شخصية سوسن أو سوزانة أنها كانت تغطي رأسها ووجهها عند الخروج إلى العامة. أمّا في بلاد كنعان، فظهرت ثقافة الحجاب كما ذكرت البحوث في وقت متأخّر وهو القرن الثامن ميلادياً.
في الديانة اليهوديّة، فُرضت على المرأة قواعد أخلاقية. بالإضافة إلى قلّة كلامها ومصونيتها، عليها أن تغطي رأسها عند الخروج إلى العلن. وكذلك الأمر في المسيحية خلال الصلاة أو خلال حضور المرأة الخطب الدينية. أما المرأة العذراء، فهي متحرّرة من الحجاب إلى أن يحين موعد زواجها، «فيصبح جسدها وعاء إلهياً مكرّساً فقط للرب».
أما في عصر ما يُعرف بالجاهلية قبل الإسلام، فانتمى الحجاب إلى الهيكلية الاجتماعية واتّخذ أشكالاً عديدة عكست صورة المرأة في ذلك الوقت. كان هناك البرقع وهو غطاء الوجه الذي كانت تقتنيه البدويات، له فتحتان عند العينين، اقتنته النساء، والشابات والبنات، كما كان يُلقى أيضاً على وجوه الحيوانات التي كانت تستخدم للتنقل. بالإضافة إلى البرقع، كان هناك في ذلك الوقت القناع الذي كان يغطي الرأس والوجه معاً. ظهر تعبير القناع في ما بعد في الإسلام، وهو المشلح الذي يرتديه الأنبياء تحت العمامة، وكان دوره حماية العمامة من الاتّساخ والتعرّق. والشكل الثالث الذي كان سائداً في هذا الوقت هو العباءة بنوعيها الخمار والجلباب. هذان النموذجان يغطيان الرأس حتى الصدر. والشكل الأخير هو الفاصل القماشي بين مكان المرأة المخصّص لها في الخيمة أو المسكن، وبين مكان الرجل وهو يسمى بالحجاب. سُمح في الجاهلية للمرأة بالتخلي عن سترها فقط عند الهرب في حالات الحروب والسّبي، وعند النواح، وفي خلوة الحب والغزل أو إذا كانت في مكان مغلق.
ترى الأبحاث أن عبارة الستر في الإسلام وفي القرآن، استُخدمت بطريقة مختلفة عنها في الكتب الدينية التي سبقته، وبأنّ غطاء المرأة رأساً وجسداً لم يُفرض في القرآن بتاتاً، بل كان يخصّ فقط زوجات النبي محمد. وعلى ما تقدم، فيبدو أنّ حجاب المرأة الذي عُرف في ما بعد في شبه الجزيرة العربية تمتد جذوره إلى اليهودية، والبيزنطية، وكذلك المسيحية، وما دعمه في الإسلام هو الاجتهاد والأحاديث.

في الرسم

بعيداً عن فن التصوير الفوتوغرافي، أثارت اللوحة الزيتية بعنوان Pasja أي «شغف» (2001) للفنانة البولونية دوروتا نييزنالسكا Dorota Nieznalska جدلاً واسعاً لدى المحاكم والكنيسة الكاثوليكية وكذلك الرأي العام البولوني. نييزنالسكا رسمت الصليب وفي مركزه عضو ذكري في وضع الارتخاء، وهو مصلوب بدل السيد المسيح. أرادت الفنانة التعبير عن المجتمع الذكوري، فأضافت إلى هذا العمل عملاً آخر عبارة عن فيديو قصير لرجل يمارس الرياضة في النادي. تم الادعاء على الفنانة لإهانتها الدين، فحكم عليها بأعمال اجتماعية لمدة ستة أشهر غير مدفوعة. لكنها قامت باستئناف الحكم. دعمها في ذلك العديد من الباحثين والنقاد، حتى صدر الحكم النهائي عام 2010 الذي حكم ببراءتها، إذ اعتبر القاضي أنه بالرغم من أن عملها الفني يجرح المشاعر الدينية، إلّا أنّها لم تتعمّد ذلك. إذن وإن شاء أن يبدو العمل مهيناً للدين، فإن الفنانة أرادت به موضوعاً إنسانياً اجتماعياً والمحكمة كان لها رأي مشابه.

في فنّ النحت

حتى فن النحت قد طال الرموز الدينية. نرى ذلك على سبيل المثال في العمل الفني la Nona Ora أي «السّاعة التّاسعة» للفنّان الإيطالي ماوريتسيو كاتيلان Mautizio Cattelan لسنة 1999 الذي جسّد البابا يوهانيس باول الثاني وهو مرتمٍ على الأرض، بعدما اخترق نيزكٌ السطح وأرداه أرضاً. أما «الساعة التاسعة»، فترمز إلى الساعة التي توفي فيها المسيح على الصليب وهو يصرخ لربه: «لماذا تركتني وحيداً؟». عندما عُرض هذا العمل سنة 2001 في مدينة وارسو البولونية، قام اثنان من النواب في البرلمان ممن زاروا المعرض بإزاحة حجر النيزك عن جسد البابا وإعادة إيقافه مستقيماً. بعدها، طُردت مديرة المتحف من عملها لقبولها عرض هذا العمل. لم يدلِ الفنان بأيّ تصريح يشرح عملهُ، ولكن بعضهم اعتبر أن المقصود هو أنه حتى أقوى المراكز معرضة للموت أو السقوط، فيما اعتبره بعضهم الآخر نقداً للكنيسة الكاثوليكية بعد الفضائح الأخيرة.

في فن المسرح

في فن المسرح، يعتبر «عربدة-غموض-مسرح» Orgien-Mysterien-Theater للفنان النّمساوي هيرمان نيتش Hermann Nitsch الحائز جوائز عديدة، الذي طوّره عام 1959 وأراد من خلاله مزج الفن بالحياة الواقعية كما عبّر حينها، من أشهر الأعمال المستفِزّة على السّاحة الفنيّة. في عمله هذا، يستخدم فن المسرح كوسيلة سردْ ترتكز إلى الدراما البدائية التي تصوّر برأيه الكوارث والنزاعات الواردة في الأساطير من خلال الجسد ومواد مختلفة أخرى. يظهر فنّه دامياً يغلب عليه طابع الذّبح والقتل والموت. فهو يعتبر أنّ الكلام على خشبة المسرح لا يكفي للتعبير بطريقة مكثفة عن الانفعالات والحالات العاطفية. لذلك يجب الاستزادة بمواد أخرى كالدم واللحم والنبيذ، وأيضاً الحليب والخل، والصراخ والضجة العالية... هذه المواد كفيلة بتحرير الحواس. في أسلوبه، يرى نيتش الواقع بسلبيّاته، بإيجابيّاته وسوداويته، ليتبلور الفن من خلال ذلك بشموليّة مسرحيّة درامية عُنفية صادمة.

في فن السينما

بالإضافة إلى فن التصوير والرسم والنحت والمسرح، نال فن السينما أيضاً نصيبه في الالتفات إلى الدين المسيحي أو يسوع المسيح بطريقة تجديفية وهزلية. على سبيل المثال، يستوقفنا فيلم «حياة براين» Das Leben des Brian الذي أُنتج سنة 1979 ويستعرض حياة الفتى براين منذُ ولادته حتى صلبه، بطريقة هزلية كوميدية. هذا الفيلم مُنع عرضه في النّروج وإيطاليا وإيرلندا لاعتباره يتضمّن تجديفاً وإساءة للدين. أمّا في الوقت الحالي، فيُعرض الفيلم منتصف ليل عيد الفصح على قنوات الـ ARD. يبدأ المشهد الأوّل بولادة الطفل براين في الحظيرة بمحاذاة حظيرة أخرى يولد فيها للتو السيّد المسيح، ثم نرى الملوك الثلاثة الذين أخطأوا العنوان يباركون ولادته بوجود الأم ـ ويلعب دورها رجل ـ وهي تظهر كامرأة افتقدت لكل أنوثة تتعامل مع الجميع بأسلوب عنيف وتُهدي الجنس إلى جنودِ الرومان. براين الثائر اليهودي ضد الرومان الذي يكتشف في ما بعد أنّه أيضاً وليدُ علاقة عابرة لأمه مع جندي روماني، سيصبح بالمصادفة وبأسلوب لا يخلو من السخرية، في عمر الـ 33 الحكيم المختار وابن الله الذي سيتبعه جمع كبير من الشعب، غصباً عن إرادته ورغم رفضه ذلك. تنتهي قصة براين بالصلب مع آخرين وهو المشهد الأخير. في هذا المشهد، لا نرى أيّ عنصر من عناصر العنف كالدم أو التعذيب أو الوجع، بل على العكس ربما ضحك واستهزاء، يتبلور بمجيء الأصدقاء والأم والحبيبة وهي شريكة الفراش والثورة «يودت» تباعاً لوداعه، من دون محاولة إنقاذه بالرغم من عدم وجود أي من الحرّاس الرومان. ينتهي المشهد الأخير بأغنية ينشدها جميع المعلّقين على الصليب يرافقون لحنها بالصفير من دون أن يدري المشاهد ما ستؤول إليه الأمور بعد ذلك.
أما الفيلم الألماني الذي سيُعرض قريباً في السينما الألمانية وهو بعنوان: «يمكنك أن تكون دنيئاً يا الله» Gott، du kannst ein Arsh sein، فهو يستعرض حياة فتاة شابّة تصاب بالسرطان، فتعيش مأساة اتخاذ قرار العلاج وفي الوقت نفسه قرار الاستمتاع وحبّ الحياة. وإن شاء أن يكون العنوان صادماً وجارحاً وكذلك المضمون الذي ينتقد الإله «المعدوم الرأفة» الذي يستطيع أن يختطف أرواح البشر، إلّا أنّ النّقاد لم يضعوه حتى الآن تحت خانة التجديف. إذ اعتبروا أن الرواية لا تعكس شكل العنوان الصادم. هذا النص هو التفاتة إلى اختلاف فهم الدين ورموزه باختلاف الأديان والسياسات الدولية، كذلك يلعب تطور النظريات العلمية والقوانين الوضعية دوراً مهمّاً في هذا الشأن. هذا الاختلاف في مستوى الارتباط أو التحرر من الدين، يعبّر عن ردات الفعل الفردية أو المجتمعية المختلفة عند أيّ نكسة عقائدية.

* باحثة فنية ـ ألمانيا

ترجمات

مارينا تسفيتايفا: صوتنا المشترَك يردّد كلاماً عامّاً (*)

تندرج مارينا تسفيتايفا في عِداد الكوكبة الألمع بين شعراء «العصر الفضيّ» الروسي: فاليري بريوسوف، فياتشيسلاف إيفانوف، ميخائيل كوزمين، مكسيميليان فولوشِن، ألِكساندر بلوك، أندريه بيلي، نيكولاي غوميليوف، آنا أخماتوفا، إيغر سيفيريانِن، بوريس باسترناك، أوسيب ماندلشتام، سيرغي يسينِن، فلاديمير ماياكوفسكي... وآخرين. ويغطي «العصر الفضي» (1890 - 1930) مرحلة ظلّ معظمها حتّى وقت قريب شديدَ الغموض والتعقيد. وقد جاء مصطلح «العصر الفضي» للإشارة إلى ولادة نهضة ثانية، توازياً مع نهضة «العصر الذهبي» (الثلث الأول من القرن التاسع عشر) في تاريخ الشعر الروسي.

ترجمة وتقديم **نوفل نيّوف**

1. سيرةٌ ذاتية

وُلِدتُ يوم 26 أيلول (سبتمبر) عام 1892 في موسكو. والدي: إيفان فلاديميروفِتش تسفيتايف، بروفيسور في جامعة موسكو، أسس وجمع الموادّ اللازمة لمتحف الفنون الجميلة (يسمّى الآن متحف الفنون التشكيلية)، وعالِمُ فيلولوجيا فذّ. والدتي: ماريّا إلِكسانْدروفنا ماين، عازفة مولعةٌ بالموسيقى، تحبّ الشعر بشغفٍ وتكتبه أيضاً. ولَعي بالشعر أخذتُه عن أمّي، وشغفي بالعمل والطبيعة أخذته عن والديَّ كليهما.

اللغات الأولى التي تعلّمتُها: الألمانية والروسية، ثم الفرنسية قبل السابعة من عمري. أكثرُ ما أحببتُ منذ سنّ الرابعة: القِراءة، ومنذ سنِّ الخامسة: الكتابة. كلُّ ما أحببتُه، أحببتُه قبل السابعة من عمري، وما أحببتُ بعد ذلك أيَّ شيء. أقول، وأنا في السابعة والأربعين من عمري، إن كلَّ ما قُدِّر لي أن أعرفه، قد عرَفتُه قبل سنِّ السابعة، وعلى مدى السنوات الأربعين التالية، كنت أعمل على وعيه وإدراكه.

أمّي هي عنصر الطبيعة الغنائيّ نفسُه. أنا البنت الكبرى عند أمّي، ولكنّي لست ابنتها المحبوبة. إنها تفتخر بي، ولكنّها تحبّ ابنتها الثانية. ينغّصني منذ الصغر نقصُ الحب. مَدْرستي الأولى هي المدرسة الموسيقية التي كنت أصغر تلميذة فيها، قبل أن أكمِل السادسة من عمري. ثم المدرسة (الليسيه) التي انتسبت إلى الصف التحضيري فيها. خريفَ 1902، أسافر مع أمّي المريضة إلى الريفييرا الإيطالية، بلدة Nervi القريبة من جنوا، حيث أبدأ معرفتي الأولى بالثوريين الروس وبمفهوم الثورة. أكتب أشعاراً ثورية تُنشر في جنيف. ربيعَ 1902 ألتحق بمدرسة فرنسية داخلية في لوزان، حيث أبقى سنة ونصف السنة. أكتب أشعاراً فرنسية. صيفَ 1904 أرافق أمّي إلى شفارتسفالد في ألمانيا، حيث ألتحق في الخريف بمدرسة داخلية في فرايبورغ. أكتب أشعاراً ألمانية. كِتابي المفضّل في ذلك الزمن هو «ليختِنشتاين» لمؤلّفه ف. هاوف. صيف 1906 أعود مع أمّي إلى روسيا. وقبل الوصول إلى موسكو، تموت أمّي في البيت الريفي «بيسوتشنايا»، بالقرب من مدينة تاروسي.

خريف 1906 ألتحق بمدرسة داخلية في موسكو. أكتب أشعاراً ثورية. بعد هذه المدرسة، ألتحق بمدرسة داخلية أخرى، ثم أنهي السنتين السادسة والسابعة في مدرسة عادية ثالثة. نُمضي الصيف في الخارج، مرة في باريس، ومرة في دريزدِن. تنعقد صداقة بيني وبين الشاعر إلّيس والفيلولوجي نيليندِر. سنة 1910، وأنا بعدُ في المدرسة الثانوية، أنشرُ مجموعتي الشعرية الأولى «ألبوم المساء». تتضمّن قصائدي في سن 15 و16 و17. وأتعرّفُ إلى الشاعر مكسيميليان فولوشِن الذي كتب عنّي أوّل مقالة كبيرة (إن لم أخطئ). وفي صيف 1911، أسافر لزيارته في كوكتِبل (في شبه جزيرة القِرْم. - ن.ن.)، وهناك أتعرّف إلى زوجي في المستقبل، سيرغي إفرون، وعمره وقتئذ 17 عاماً، ومنذ ذلك اليوم لا ننفصل. في عام 1912 نتزوّج. سنة 1912 تصدر مجموعتي الشعرية الثانية «المصباح السحري»، وتولد ابنتي الأولى أريادْنا. عام 1913 وفاة والدي...

منذ 1912 وحتى 1922 لا أتوقّف عن الكتابة، ولكنّي لا أنشر كتباً. لا أنشر في الصحافة الدورية إلا بضع مرّات في مجلة «سيفِرنيّي زابيسكي». منذ الثورة وحتى عام 1922 أعيش في موسكو. في عام 1920، تموت في المأوى ابنتي الثانية إيرينا وعمرها ثلاث سنوات. سنة 1922، أسافر إلى الخارج حيث أبقى 17 عاماً، منها ثلاثة أعوام ونصف العام في تشيكيا، و14 عاماً في فرنسا. عام 1939 أعود إلى الاتحاد السوفيتي لألتحق بأسرتي وأمنحَ ابني غيورغي (ولِد سنة 1925) وطناً.

أُحبُّ من الكتّاب: سلمى لاغِرْلِف، زيغريد أونْدْسِت، ماري بيب.

منذ 1922 حتى 1928 تصدر كتبي التالية: عن «دار غوسيزدات»: «الفتاة القيصر»، «فراسخ» 1916، ومجموعة «فراسخ»؛ في برلين عن دور نشر مختلفة: ملحمة «الفتاة القيصر»، والمجموعات الشعرية («الفراق»، «قصائد إلى بلوك»، «المهنة» و«الروح») التي لم تستوعب كثيراً مما كتبته بين 1922 و1928. في براغ، سنة 1924، أنشر ملحمة «الشجاع»؛ وفي باريس، عام 1928، مجموعتي الشعرية «بعد روسيا». ليس عندي كتبٌ أخرى. تنشر الصحافة الدورية في الخارج: مسرحيّات غنائية lyriques كنت قد كتبتها في موسكو: «القدَر»، «مغامرة»، «نهاية كازانوفا»، «العاصفة الثلجية». الملاحم الشعرية: «ملحمة الجبل»، «ملحمة النهاية»، «السلّم»، «من البحر»، «محاولة غرفة»، «ملحمة الهواء»، جزءان من ثلاثية «ثيسيوس»: ج1 «أريادنا»، ج2 «فيدرا»، «رأس السنة»، «الثور الأحمر»، ملحمة «سيبيريا». ترجماتي إلى الفرنسية: «Le Gars» (ترجمتُ ملحمة «الجدع» وفقاً للبحر الشعري في الأصل) مع لوحات نتاليا غونتشاروفا، ترجمتي عدداً من قصائد بوشكِن، ترجماتي الأغاني الثورية الروسية والألمانية والسوفيتية أيضاً. وبعد عودتي إلى موسكو، ترجمت عدداً من قصائد ليرمونتوف. بعد ذلك لم تُنشر لي ترجمات أخرى.

النثر: «بطل العمل» (لقاء مع ف. بريوسوف)، «ما هو حيٌّ عن حيّ» (لقاء مع م. فولوشِن)، «نتاليا غونتشاروفا» (حياة وإبداع)، روايات قصيرة من الطفولة: «بيت عند بيمِن العجوز»، «أمّي والموسيقى»، «الشيطان»... مقالات: «الفن في ضوء الضمير»، «ملك الغابة»، قصص: «السياط»، «افتتاح متحف»، «برج في اللبلاب»، «عريس»، «الصيني»، «حكاية أمّي» وأشياء كثيرة أخرى. كتاباتي النثرية كلّها مستمدّة من سيرتي الذاتية.

كانون الثاني (يناير) 1940
غوليتصينو

2. إلى مسافرة لا تفارقني

تقفين في الباب مع حقيبة السفر.
يا لَلحزن في وجهك!
لو تريدين، قبل فوات الأوان، سنقرأ
الشعر معاً آخِرَ مرة.

ليكُن أن صوتنا المشترَك يردّد
كلاماً عامّاً حتى الآن،
لكنّ القلب انشقّ فرعَين
وطريقنا المشترك انشقّ اثنين.

قبل فوات الأوان، احني رأسكِ
فوق البيانو، كما في قديم الأيام.
ولْنُغنِّ وداعنا الأخير
بابتسامات وأحزان ثنائية.

آن الأوان! صناديق الكرتون مربوطة،
واللحاف مشدودٌ بالحزام من زمان...
فليحفظِ اللهُ صوتكِ الرنّان
وعقلَك الحكيمَ ذا الستّةَ عشرَ عاماً.

حين تتجمّد السماوات كلّها في النجوم
فوق الغابات والحقول،
ستسرع اثنتان لا تفترقان صوب
أُناسٍ مختلفين في قطارات مختلفة.
1911

3. لقاء مع بوشكِن

أصعدُ طريقاً بيضاء،
غبراءَ، رنّانةً، شديدةَ الانحدار.
لا تَتعبِ رجلاي الخفيفتانِ
من العلوِّ فوق الأعالي.

على يساري ظهْرُ جبلُ آيو - داغ العالي،
تحيط به هوَّة زرقاء.
أتذكّر ساحرِ هذه الأماكن
المخوتمَ الشِّعر.

على الطريق وفي الكهف
أرى يده السمراء قرب جبينه...
مثلَ عربة من زجاج
تقرقع على المنعطف...

رائحة دُخانٍ. من عهد الطفولة.
أو قبائلَ ما...
فتنةُ القِرمِ الذي كان
في أيامِ بوشكِن الغالية.

بوشْكِن! كنتَ ستعرف من الكلمة الأولى
مَن ذا الذي في الطريق إليك!
كنتَ أشرقتَ، وما عرضتَ عليَّ
أن أتأبّطَ ذراعَك ونمضي إلى الجبل...

كنتُ قلتُ لك وأنا أمشي،
غيرَ مستندةٍ إلى ذراعك السمراء،
بأيِّ عمقٍ أزدري العِلْمَ
وأرفض الزعيم،

كم أحبُّ الأسماءَ والرايات،
الشَّعرَ والأصوات،
الخمورَ القديمةَ والعروشَ القديمة.
وكلَّ كلبٍ أصادفُه!.

الردَّ بأنصاف ابتساماتٍ على الأسئلة،
والملوكَ الشباب...
كم أحبّ شعلة لُفافة التبغ
في دروب الغابة المخملية،

الدُّمى ورنينَ قرْعِ الطبول،
الذهبَ والفضّةَ،
والأسماءَ الفريدة: مارينا،
بايرُن ورقصةَ الـ بوليرو،

التمائمَ، ورقَ اللعب، قناني العطر الصغيرةَ والشموع،
رائحةَ الرُّحَّل ومعاطفِ الفِراء،
ما تقوله الشفاهُ الفاتنةُ
من كلامٍ كاذبٍ يَدخل الروح.

هاتَين العبارتَين: كلّا أبداً، وإلى الأبد،
أخدوداً تخلِّفه العَجلة...
الأيدي السمراءَ والأنهارَ الزرقَاء،
آهٍ، ومريولاك!

قرْعَ الطبول. معطفَ الآمِر.
نوافذَ القصور وعرباتِ الخيل،
الشجرَ في فم الموقد المتوهِّج،
والشَّررَ المتطايرَ نجوماً حمراء...

قلبيَ الأبديَّ وخدمتَه
الملِكَ وحدَه!
قلبي وصورتي في المرآة...
كم أحبُّه...

طبعاً... لمَا كنتُ تكلّمت،
ولكنتُ خفضتُ نظري...
ولكنتُ صمتُّ بحزنٍ ولطفٍ شديدين
وأنا أعانق شجرة سَروٍ نحيلة.

لكنّا صمتنا كِلانا، أليس كذلك؟
ونحن ننظر كيف يشتعل أولُ ضوء
في مكانٍ ما عند أقدامنا،
في كوخٍ جبليّ لطيفٍ صغير.

ولأن المسافة بين أسوأ الأحزان واللعب
خطوةٌ، لا أكثر!
كُنَّا انفجرنا بالضحك وركضنا
يداً بيدٍ نهبطُ الجبل.
1913

4. مقتطفات من دفاتر ويوميات

16 شباط 1936. لو خيّروني بين ألّا أرى روسيا أبداً، وألّا أرى دفاتر مسوَّداتي أبداً (أقلُّه هذا الدفتر الذي يضمّ صياغات متنوّعة لـ «أسرة القيصر») لَمَا تلكّأت، وفوراً. وواضح ماذا. تستطيع روسيا أن تستغني عنّي، أمّا دفاتري: لا. أستطيع أن أستغني عن روسيا، أمّا أن أستغني عن دفاتري: لا. ليس إطلاقاً من أجل: العَيش والكتابة، بل من أجل العَيش. الكتابة، و: الكتابة. العيش. أي أنّ كلّ شيء يتحقّق بل ويعاش في الدفتر فقط. أمّا في الحياة، فماذا؟ في الحياة هناك الحياة المنزلية: ترتيب البيت، الغسل، إشعال المدفأة، العناية. في الحياة: خدمة وغياب.

1917. عن الحبّ: نَبالةُ القلب أُرْغُن. احتراسٌ لا يضعف. دائماً هو أوّلُ من يدقّ ناقوسَ الخطر. أستطيع أن أقول: إن الحبّ يستدعي فيَّ دقّات القلب، ودقّاتُ القلب تستدعي الحبّ.

■■■

القلب أُرْغُن أكثرُ ممّا هو عضو.

■■■

القلب يكون مقياساً لأيِّ شيء، ولا يكون مقياساً دقيقاً للحُبِّ.

■■■

كلَّ مرّة، حين أعرف أن شخصاً يحبّني أتعجّب، لا يحبّني أتعجّب، ولكنّي أكثر ما أتعجّب حين لا يبالي بي.

■■■

نظرة الحب الأولى هي المسافة الأقصر بين نقطتين. ذلك الخطّ الإلهيّ المستقيم الذي لا ثانيَ له.

■■■

في مشاعري، كما في مشاعر الأطفال، لا يوجد درجات.

■■■

قصة.. حين كنت في الثامنة عشر من عمري أحبّني مصرفيّ يهوديّ حبّاً جنونيّاً. كنتُ متزوّجة وكان متزوّجاً. كان سميناً، ولكنه جذّابٌ للغاية. لم نبقَ وحيدَين أبداً إلا نادراً جدّاً، ولكنه في تلك الحالة كان يقول لي كلمة واحدة فقط: «عيشي! عيشي!». ولم يقبِّل يدي أبداً. وذات مرّة أقام سهرة، من أجلي شخصيّاً، دعا إليها راقصين رائعين، فقد كنت حينها مغرمة بحبّ الرقص! أمّا هو فلم يكن يستطيع الرقص، لأنه شديد السمنة. وكان عادة، في سهرات من هذا النوع، يلعب الورق. في هذه السهرة لم يلعب. (عمر المتحدِّثة ستّ وثلاثون سنة، فاتنة)

■■■

قصّة بعض اللقاءات. تَوازُن مشاعر. حكاية طالب في الكلية العسكرية: ... «أعترف لها بالحب، وطبعاً، أُدندِن».

■■■

كم من قبلات الأمّهات تتساقط على رؤوس مَن ليسوا أطفالاً، وكم من قبلاتِ مَن لسنَ أمّهاتٍ تتساقط على رؤوس الأطفال!

■■■

عن نشيد الأنشاد: يؤثّر بي نشيد الأنشاد، مثلَ الفيل: تأثيراً مرعباً ومضحكاً.

■■■

نشيدُ الأنشاد كُتِب في بلادٍ عِنبُها بحجم المِحدلة.

■■■

نشيد الأنشاد عالَمُ النبات والحيوان في خمسةِ أجزاء هو الأرض مجتمعة كلُّها في امرأة واحدة/ وحيدة. (بما في ذلك أميركا غيرِ المكتَشفة).

■■■

أفضلُ ما في نشيد الأنشاد قولُ أخماتوفا: «وفي الكتاب المقدَّس ورقةُ حَور حمراء/ علامةٌ على نشيد الأنشاد».

■■■

كان يجب أن أشرَبَك من رُبعيّة، لكنّي أشربك قطرةً قطرة، فأسعُل.

■■■

1918. لستُ بطلةَ حبّ، لن أغرق يوماً بحبيب. أغرق دائماً في الحبّ.

■■■

تنقسم الحياة كلُّها إلى ثلاث مراحل: التنبّؤ بالحب، فعلُ الحب، وذكرى الحبّ. أنا: على أن يمتدّ وسطيّاً من 5 سنوات إلى 75، نعم؟

■■■

1919. 14 آذار. إنني، بالطبع، سأنهي حياتي بالانتحار، لأن كلّ رغبتي بالحبّ رغبةٌ بالموت. وهذا أشدُّ تعقيداً بكثير من «أريد» و«لا أريد». وربّما سأموت ليس لأن الحال سيّئة هنا، وإنما لأنها «جيّدة هناك».

■■■

حبّي أمومةٌ حارّة، ليس لها أي علاقة بالأطفال.

5. شمْعتا وداع

في الحياة كنت دائماً أتجنّب الكبار، أحيط بهم مثلما يحيط كوكب بكوكب. لماذا أضيف إلى همومهم الحياتية والروحية جبلَ حبي أيضاً؟ إن لم يكن من أجل الحب، فلماذا اللقاء؟ إن كان من سبب آخر فهناك الكتب. وإن لم يكن الحب جبلاً، أستعمل هذه الكلمة بكل أبعادها، فأيُّ حبٍّ ذاك... صيانة النفس؟ ممّا من أجله جئتُ إلى هذا العالم؟ كلّا، ففي قاموسي دائماً «يُصان» الآخر.

■■■

قبلة من لا يحب تقول أكثر بكثير، وقبلة من يحب تقول أقلّ بكثير. القبلة بحدِّ ذاتها ليست كافية. إنها الشرب لكي نشرب من جديد. قبلة الحب ماء بحرٍ وقت العطش (ماء بحرٍ أو دمٌ يطيبُ لمن تحطّمت سفينتهم!). إن كان هذا قد قيل من قبل فإني أكرره، لأن الشيء الأهم ليس أن تقول جديداً بل أن تجد الكلمة الوحيدة الصائبة. أنا أفضِّل ألّا أروي عطشي أصلاً. إليكم أيضاً شيء آخر لم يكتب عنه أحد من قبل، رغم أنه واضح للعيان: قبلة الحب طريق سيّئ يفضي إلى النسيان. القبلة من الحبيب، وليس إلى الحبيب. يبدأون من قبلة الروح، يمضون إلى قبلة الشفتَين، وينتهون إلى قبلة القبلة. إلى الدمار.

(*) مقتطفات من كتاب صدر حديثاً، بعنوان: «مارينا تسفيتايفا: بعضُ حياةٍ وشِعر»، منتخبات شعرية ونثرية ويوميات وشهادات لها وعنها، تجميع وترجمة: نوفل نيوف، دار التكوين، دمشق.

قصة

جون خايرو خونييليس *

ترجمة **أحمد محسن غنيم**

وصل فتى خجول لتوّه إلى المدينة. جاء بعد مواعدة فتاته الأولى وانتهى من مشاهدة فيلمه الأول: «الطيب والشرس والقبيح» بطولة كلينت إيستوود بردائه ومسدساته. حسناً، الحقيقة أنني فزعت قليلاً حين بدا ذلك الحصان آتياً نحونا، لكن كلاوديا كانت مستمتعة. تماسكت يدانا في الظلام. شعرت أنني أفضل من إيستوود حين عانقته الفتاة الشقراء بعدما قتل أربعة قطاع طرق ثم كافأته بقبلة. أعلم أن كلاوديا ليست شقراء، لكنّ عينيها كانتا أشد صفاء من الغروب في أفلام رعاة البقر.

خرجنا من دار العرض. اشترينا «كوكا كولا» وشطائر ساخنة من ناصية باب الشمس، ثم أقلتنا حافلة إلى البيت. كانت كلاوديا جارتي. وكان في حيّنا صالة للملاكمة اسمها «الولد الحديدي». تزامن مرورنا بها مع خروج جماعة من الملاكمين. بدأ أحدهم - وكان شاباً طويلاً مفتول العضلات - في مضايقتنا. في البداية سخر مني، ثم بدأ في مغازلة كلاوديا بكلمات قبيحة، وكانت هذه هي الشرارة. في تلك اللحظة، نسيت طولي الذي لا يتجاوز المتر وأربعةً وستين سنتيمتراً، وأن ذلك الفتى كان آلةً لإلقاء الضربات. لم أفكر سوى في صديقتي والحمرة التي اعتلت وجهها. رجعت. وبعينين مغمضتين قفزت فوق ذلك العجين الأسود من العضلات. لكمته مرة بعد أخرى. كان في البداية جداراً، ثم أصبحت ألكم الفراغ. فتحت عينيّ: نعم! لقد طرحته أرضاً. نظر إليّ الشارع بأكمله مشدوهاً. ساعد عجوزٌ كان خارجاً من الصالة وقتها الشاب لينهض بينما كان يسبّه، كما ألقى بالشتائم على الآخرين. بعدها اقترب وطلب مني أن أزوره اليوم التالي في الصالة، ودعاني «بطل». أعجبني ذلك. شعرت صديقتي بالفخر. أخذتُ نفساً ونفخت صدري كمحارب، لكنني في الحقيقة لم أفكر في الذهاب إلى الصالة، ولم أعطِ الأمر اعتباراً إلى أن طلبت مني كلاوديا وأنا أودّعها ألّا أنسى أن أحكي لها ما يقوله لي المدرب.

لم أخبرهما بشيء في البيت عن الشجار. قرر والداي بعد سنواتٍ طويلة من العمل بعيداً عني أن يأتيا بي إلى المدينة. كانت فرصة جديدة ولم أرد لهما أن يقلقا أو أن يظنّا أنني مجردَ مشاغب. مساء اليوم التالي، اقتربت من الصالة. أدخلني العجوز وقدمني إلى فتى المشاجرة الذي اعتذر من تحت أضراسه، وقال لي إنه لم يفهم كيف استطعت إسقاطه. أجبته أنها كانت ضربة حظ. لكن المدرب أكد أنه منذ سنوات لم يرَ يميناً كيميني وأعرب عن رغبته في تدريبي. شرحتُ له أنني لا أعلم شيئاً عن الملاكمة. رغم ذلك، أجابني بأنه قضى حياته بين جدران هذه الصالة ولا يشكّ في كوني خامة طيبة. رماني الشاب بنظرة ازدراء وذهب ليُشعرني بأنني قزم مقارنة به. ضايقتْني النظرة لدرجة أني قبلت التدريب، وبدأت ذلك المساء. حين حكيت لكلاوديا فرحت جداً. قالت إن أبطال الملاكمة يجوبون العالم كله سفراً ويجنون أموالاً طائلة، يشتهرون ويحترمهم الجميع. وحين أخبرتها بأنني لم أكن أكثر من هاوٍ تحت الاختبار، أجابت بأنها على يقين من أنني سأكون بطلاً. حضرت التمرينات خلال خمسة عشر يوماً. في البداية، اعترضوا في البيت، لكن عمي ويليام أكد أن ذلك في مصلحتي، وعلى الرجال أن يعرفوا كيف يدافعون عن أنفسهم. وصل به الأمر أن جاء إلى التدريب بعض المرات ليراني، ويقول: «هذا ابن أخي». حلّ أخيراً يوم مباراتي الأولى. كان منافسي أقصر، لكنه قويّ البنية. أحسستُ بنفسي قوياً. كنت قد بذلت مجهوداً كبيراً. هناك بين المشاهدين كان عمي ويليام وكلاوديا: كانت نظرة البراعة التي تمتلكها تضيء الحلبة أكثر من الكشافات الكبيرة.

الجولة الأولى كانت مدروسة. شاهدت في التلفاز ما يفعل كيد بامبيلي وشوجار راي ليونارد فيها. لكمني الخصم عدة لكمات، لكنني تفاديتها برشاقة. أصدرت كلاوديا صرخة حماسيّة ارتفعت بين أصوات الملاكمين القوية وتجاوزت عبارة المعركة: «هذا ابن أخي»، التي تعرفون من صاحبها.

في الجولة الثانية، تفوّقت على خصمي، نجحت في إصابته في وجهه، ومن أنفه سال خيط دم رفيع. عندها تحرك حركة غريبة أربكتني. بينما كنت أحاول أن أستعيد هدوئي، تلقيت ضربة مباشرة في ذقني. رأيت نقاطاً صفراء وأنا أدور ثم وقعت. صرخت كلاوديا في فزع. سخر منها بعض الملاكمين بجوارها. أثارني ذلك، فنهضت عند العدة الخامسة وهاجمت خصمي حتى طرحته أرضاً ينزف من أنفه وفمه. صفّقت كلاوديا وردّت السخرية لجيرانها. سمعت عمي ويليام أيضاً يقول إنني الأفضل في العالم، وإنني أحمل دمه، وإنني خير أبناء إخوته. كان كل ذلك جديداً عليّ، وكان يقع من قلبي موقعاً حسناً. لكن بمرور الأيام، وتوالي المنافسات، أخذ ينمو داخلي إحساس أن هذا ليس ما كنت أبحث عنه. كان بالي يظلّ مشغولاً بالخصوم الذين أوقعهم، وبالفراغ والحقد في أعينهم. طرد المدرب العجوز بعضهم ولم يعودوا بعدها إلى الصالة.

كان «الولد الحديدي» مكاناً رطباً، وكانت الحلبة بالية. كل ما هناك كان فقيراً، وكان الشيء الوحيد الذي يضفي على المكان لمسة بهجة تجعله يخطف الأنظار كلاوديا التي تصرخ في كل مباراة. كنا فتية فقراء نحلم بمعدات صوت قوية وأحذية جديدة وجينز أصلي. إنني في الحقيقة لم أكن مهتماً بالملاكمة. كنت هناك لأن التيّار حملني لا غير، وكان تيّاري كلاوديا وعمّي ويليام.

لم أرد سوى أن أكون راعي غنم مثل كلينت إيستوود في ذلك الفيلم الأول الذي رأيناه، وكلاوديا ورائي على حصان في مروج شاسعة. لكنها لم تكن تتحدث سوى عن الملاكمة، والأرقام القياسية، والأسفار. كانت تعرف أكثر مني عن الأمر. والأسوأ أننا لم نعد للذهاب إلى السينما بعدها. كنت أصارع وأفوز، لكن الأمر برمته لم يكن يعنيني. لو لم يكن خصومي يشتمونني ويحاولون ضربي، لما كنت لأواجههم بالمثل. ولو فكّرتُ برويّة، لوجدت أنني كنت أنتصر باحثاً عن القبلات التي كانت كلاوديا تمنحني إياها بعد كل مباراة. أربع عشرة مباراة، أربع عشرة قبلة. لم تكن الأخيرة نقرة حمامة، بل مبتلة وعنيفة بحلاوة.

جاءت المباراة الخامسة عشرة. كان خصمي ذلك الفتى الذي تشاجرت معه ذلك المساء الأول، الفتى الذي غيّر مسار حياتي. الآن سنتواجه في الحلبة. لم يكن هو الآخر قد خسر أي مباراة (باستثناء تلك المشاجرة غير الرسمية). من يفوز، سيشارك في بطولة محلية في مدينة بعيدة، مكان تحيطه الجبال ولا ينقطع فيه المطر. كان اسم تلك المدينة يبدو آتياً من الخيال.

بدت كلاوديا أكثر حماسة مني. ارتدت أفضل ما لديها من ملابس، وقبل المباراة، كانت النظرات تتركز عليها. لم ينظر أحد إلى حيث كنا نتجهز: كانت هي تلمع أكثر من أي حزام دولي بينما كنت أنا شارداً بعض الشيء. بدا خصمي جاداً ومتّزناً، ولم تصدر عنه أي حركة تهديد. دخلنا إلى مركز الحلبة وبدأنا. حتى الجولة الرابعة، كان كل شيء متساوياً. كنت ألمح بطرف عيني عمي ويليام وصديقتي اللذين كانا يتحدثان مع المشاهدين ويشيران إلى الحلبة. أحسست بحزن يلفّني، وبدت لي مدينة الأضواء بعيدة كأنها شبح. لم أرد الذهاب إلى أماكن باردة، كنت أريد الذهاب إلى الغرب حيث رعاة البقر، على حصان بين الثيران.

ألقى منافسي بضربة في كبدي، فتفاديتها، لكنه في لحظة انقلب كحيّة ولكمني في وجهي. سقطت كبرق، لكني لم أفقد الوعي. الضربة، بدلاً من أن تنيّمني، جعلتني أرى الأشياء بحدّة غريبة. هناك، راكعاً، استطعت رؤية خصمي في إحدى زوايا الحلبة، وعمي وكلاوديا صامتين ومتأهبين، وأصدقاء خصمي يعدّون مع الحكم: واحد، اثنان، ثلاثة...! كان بوسعي النهوض، لكني شعرت بنفسي تائهاً في تلك الحلبة، أرى الأفلام التي انتهت أيامها، وكيف كانت كلاوديا لا تتحدث سوى عن مستقبل من الكؤوس والأحزمة الذهبية وإعلانات التلفاز، ولم تبدُ منتبهة إلى أنني كنت هنا، في الحاضر. أنني لم أكن أريد قبلات مقابل فوز مباراة، لم أكن أريد قبلات مقابل خوض شجار. أربعة، خمسة، ستة... كنت أستطيع أن أُسقط الفتى بسهولة ذلك المساء، وأظن أنني لو نهضت وقتها لحافظت على فرصتي في الفوز، لكن لا. كنت هناك، على لباد الحلبة. رأيت عمي ويليام يخفض رأسه، ورأيتها تصمت. وصل الحكم إلى العشرة. لم يأتِ أحد ليقول لي أي شيء، ليس سوى خصمي الذي اقترب وسألني كيف كنت أشعر. بخير. سألني لماذا لم أنهض. أجبته: هذا الأمر ليس أمري. حاول المدرب أن يشدّ من أزري، لكني أخبرته أنني لن أعود. قال إنه كان يعرف، وإنه ما زال يراني اكتشافاً عظيماً، لكن كان ينقصني الشيء الأساسي

- وما هو الشيء الأساسي؟

-العطش يا فتى، العطش. لا أحد يبحث عن الماء من دون عطش. لم أفهم، ولم أكن مهتماً. لم أرد سوى الخروج من هناك، والبحث عن كلاوديا، أن أقول لها إنني ظللت على أرض الحلبة من أجلها، إنني لم أكن أريد الذهاب إلى تلك المدينة البعيدة. لا أريد أن أكون مشهوراً، أريد الذهاب لمشاهدة الأفلام، والمشي في الشوارع معها والذهاب إلى الحديقة لأقبلها هي وحدها. لكنني لم أجدها في الصالة، ولا في حديقة الحي. قالوا لي في بيتها إنها غير موجودة. وتلك الليلة كذلك لم أكن قريباً لأحد. بدأت هي في تجنّبي والتهرّب منّي، ومع الوقت قررت ألا أستمر في البحث عنها. وهكذا كرستُ نفسي لأكون راعي بقر وحيداً، من دون شقراء كشقراء كلينت إيستوود. أعتقد أنه كان لديها ذلك العطش الذي كان المدرب العجوز يتحدث عنه، وبما أنني لم أكن ماء، لم تكن من جدوى في رفقتي.

لم أستغرب - ليس كثيراً - حين رأيت كلاوديا بعد شهور في شارع بصحبة خصمي. كان هو قد فاز باللقب المحليّ. حيّاني بودّ وقال:

-ربحتني مرة وربحتك مرتين.

-صحيح، لكن الجرس لم يدق بعد.

ابتسم كلانا. نظرت هي إلى ناحية أخرى، إن كنت أعرفك، فلا أتذكر. وحرّك النسيم تنورتها. ابتعدت عنهما. بدت مجمّعات البيوت والمباني المربعة كمكعبات سكر كبيرة ومتسخة: وكانت الطيور تخرج من بعض الأسطح. لم أكن أشعر بسوء، أو بذلك السوء الذي يفترض أن أشعر به. أسعدتني فكرة أن المساء كان يقترب، ولم يزل هناك الكثير من الأفلام لأشاهدها.

* John Jairo Junieles جون خايرو خونييليس (1970)، شاعر وقاصّ وروائي وصحافي كولومبي. نشأ في مدينة كارتاخينا في شمال كولومبيا. نشر أربعة دواوين، فاز آخرها بـ «الجائزة الوطنية للشعر» في مدينة بوغوتا. كما نشر ثلاث مجموعات قصصية وروايتين. يدرّس الصحافة والكتابة الإبداعية في الجامعة الوطنية في بوغوتا.

تاريخ

فرانشيسكو سافيريو ليوباردي تجربة اليسار الفلسطيني بعين ناقدة

إعداد زياد منى

لعلّ كتاب «اليسار الفلسطيني وانحساره: معارضة موالية» (بالغريف ماكميلن ـ 2020) هو المؤلف الأول الذي ينظر إلى تجربة اليسار الفلسطيني الماركسي، ممثلاً بالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، بعين ناقدة، وإن أتت من كاتب أوروبي، أي من خارج الساحة الفلسطينية. الكاتب الإيطالي، وهو فرانشيسكو سافيريو ليوباردي، الباحث في قسم الدراسات الآسيوية والشمال-أفريقية في جامعة «كا فسكاري» في البندقية. ركّز في عمله الطليعي هذا على المرحلة الواقعة بين اجتياح العدو الصهيوني للبنان واحتلال بيروت، وتبلور الانقسام الفلسطيني بين حركة «فتح» وتنظيم «حماس» الإخوّنجي عام 2007، إذ يرى أنه كرّس تهميش الجبهة على نحو نهائي وتأثير ذلك في أوضاع اليسار الفلسطيني. يقول الكاتب في مقدمة العمل (الفصل الأول) أنّه كان على البديل المفترض الذي جسّده اليسار الفلسطيني أن يواجه تناقضات كبيرة في عمل منظمة التحرير ستظهر بكامل قوتها بعد التغييرات الصادمة الناتجة من اجتياح عام 1982، وأصبح المشروع السياسي المضاد للهيمنة الذي ينافس استراتيجية فتح للتحرير [كذا!] يتعارض على نحو متزايد مع الجبهة والولاء المطلق لليسار الفلسطيني لمنظمة التحرير الفلسطينية (التابعة لـ «فتح» – ز م). مثل هذه «المعارضة الموالية» استلزمت في نهاية المطاف التخلّي عن كل دور ضد الهيمنة، ما يقوّض مسوّغ وجود اليسار الثوري الذي لا يزال، على وجه الخصوص في حالة الجبهة، ملتزماً اسمياً بإنشاء دولة اشتراكية ديمقراطية في فلسطين. وانطلاقاً من هذا، يفحص هذا المؤلف الوكالة السياسية (political agency) للجبهة لكشف النقاب عن كيفية حدوث هذا التنازل ولتوضيح الديناميكيات والسلوكيات التي أنتجتها. هذا يعني تفسير عملية تراجع الجبهة الشعبية على أنها نتيجة لصياغة سياسة غير فعالة وليس نتيجة ميكانيكية لأحداث خارجية مصيرية مثل هزيمة الأنظمة الشيوعية. يوضح الكاتب: لأن انتظار تحليل مركز للجبهة وتهميش اليسار الفلسطيني قد طال، فإنّ هدف هذا المؤلف البدء بتعويض هذا القصور في التأريخ السياسي الفلسطيني. يعتبر هذا النوع من وجهات النظر حول السياسة الفلسطينية أكثر إلحاحاً، حيث تعاني الحركة الوطنية الفلسطينية أزمة لا يمكن حلها حرمت الجهات الفاعلة الرئيسة فيها من كثير من شرعيتها السياسية. وبالتالي، فإن غياب اليسار الفلسطيني الموثوق به هو جزء لا يتجزّأ من الشلل السياسي الحالي في وقت الهجمات غير المسبوقة على حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني على الصعيدين المحلي والعالمي.

عالج الكاتب مختلف محطات موضوع البحث في ثمانية فصول ذات عناوين دالة. الفصلان (الثاني «الخروج من بيروت: سنوات الانقسام»، والثالث «توهم محور المقاومة: سياسات الجبهة الشعبية الخارجية خلال الثمانينيات») يتناولان السنوات 1982-1987 التي شهدت أول انقسام كبير لمنظمة التحرير. يركز الفصل الثاني على أجندة الجبهة تجاه الوضع الداخلي لمنظمة التحرير الفلسطينية ومحاولاتها بناء بديل «جذري» لاستراتيجية عرفات التفاوضية. على الصعيد الفلسطيني، استند هذا البديل إلى محاولات إقامة جبهة يسارية قومية معارضة لخطط السلام التي ترعاها الولايات المتحدة، ما أدى بالجبهة إلى البحث عن علاقة أوثق مع سوريا والاتحاد السوفييتي وهو موضوع الفصل الثالث. يرى الكاتب أنّ الجبهة أثبتت أنها غير قادرة على التوفيق بين العناصر المتناقضة في وكالتها السياسية، ما قاد إلى ترجح خطها بين رفض استراتيجية عرفات التفاوضية وضرورة حماية الاستقلال الفلسطيني من الضغوط السورية ومن تشرذم اليسار الفلسطيني. كان الدور الصغير للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الفشل النهائي لاستراتيجية عرفات في عام 1987، إلى جانب عدم قدرتها على الحد من قوته المتزايدة داخل منظمة التحرير بمثابة خطوة رئيسة أولى في تهميشها. يغطّي الفصل الرابع (الانتفاضة الأولى: التهميش النهائي) النصف الأول من الانتفاضة الأولى (كانون الأول 1987) إضافة إلى الترسيخ السابق لفصائل المنظمة في الأراضي الفلسطينية المحتلة (عام 1967 – ز م). قدم التوازن السياسي المختلف الموجود بين الفصائل الفلسطينية في تلك الأراضي إضافة إلى استعادة وحدة منظمة التحرير الفلسطينية فرصة ثمينة لتجديد عمل الجبهة الشعبية في السياسة الفلسطينية. مع ذلك، عادت مصادر عدة للضغط لتطاردها، منها الحرص على وحدة المنظمة وظهور البديل الإخوّنجي، لكنها استمرت في نهاية المطاف في التأرجح بين اتجاهات براغماتية إيجابية، أي نفعية أو مراعية للظروف، دوماً وفق تعبيرات الكاتب.

الفصل الخامس (حلول العملية السلمية: من الرفض إلى قبول «فرساي الفلسطيني») يناقش العقد الذي شهد بداية ما يسمى عصر عملية السلام، ويتناول على وجه الخصوص رد الجبهة على اتفاقيات أوسلو 1993 وتنفيذ عملية بناء الدولة لسلطة الوطنية الفلسطينية. بذلك، يلخّص هذا الفصل تحوّل الجبهة من الرفض التام إلى القبول بنظام ما بعد أوسلو السياسي. ويركز هذا الفصل على معظم فترة التسعينيات، بما في ذلك رد فعل الجبهة على أحداث مصيرية من حرب الخليج عام 1991 إلى هزيمة الاتحاد السوفييتي، إضافة إلى معالجة إخفاق أجندة الجبهة والجهود التي تلت ذلك للمصالحة. يتناول الفصل السادس (انتفاضة الأقصى وما بعدها: عودة ظهور التناقضات والتهميش النهائي) السنوات التي أكدت تهميش الجبهة من خلال انتفاضة الأقصى 2000-2005 وتطور الانقسام بين «حماس» و«فتح» بين عامي 2006 و2007، ويوضح تقلباتها وفقدان أهميتها في ما يتعلق بديناميات مسار الانتفاضة الثانية مثل العسكرة والتشرذم السياسي الفلسطيني وتنامي الاستقطاب بين «فتح» و«حماس». يتناول الجزء الأخير من هذا الفصل جهود الجبهة للاندماج في ما بعد الانتفاضة، والأهم من ذلك، السيناريو السياسي بعد عرفات. في هذه المرحلة، استمرت معضلة اندماج المعارضة في الظهور مع استمرار الجبهة الشعبية في التأرجح بين طرفي الصراع بين «حماس» و«فتح». أظهر توافق الجبهة النهائي مع السلطة الوطنية الفلسطينية بروز التكامل داخل الكتلة المهيمنة التقليدية، ما يسلط الضوء على عدم قدرتها على الانسحاب من الإطار السياسي المختل. يقدم الفصل السابع (مسارات التقهقر والتجديد: الجبهة الشعبية والمسارات اليسارية عبر الزمن) بعض الاعتبارات التحليلية والنظرية من خلال تجاور مسار الجبهة مع مسار الحركة الشيوعية المصرية وحزب العمال الكردستاني، والفصل الثامن يلخص استنتاجات المؤلف.

في الوقت الذي نأمل أن يقود هذا العمل إلى تفاعل مفيد في الساحة الفلسطينية، أقول: كم تمنيت لو أن هذا المؤلف صدر عن الجبهة نفسها أو عن أي من أطراف اليسار الفلسطيني أو إحدى شخصياته.

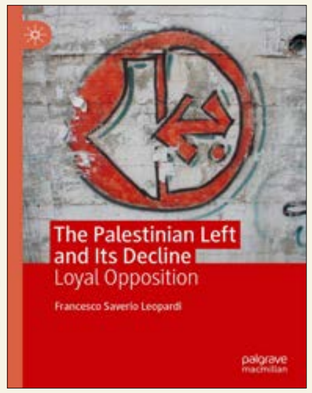

يناقش الفصل الخامس العقد الذي شهد بداية ما يسمّى عصر عملية السلام

The Palestinian Left and Its Decline: Loyal Opposition

سوسيولوجيا ثقافية

فيليباك. تشونغ رحلة في عقول نقّاد الأدب

كوني منخرطاً في نشر مؤلفات، وعرضها، وليس نقدها، منذ نحو عقدين من الزمن، أثار كتاب «داخل حلقة النقاد: عروض الكتب في أوقات عدم اليقين» (بوب ـ 2020) اهتمامي وآمل أن يجد القارئ متعة في قراءته. مع أن هذا المؤلف موضوع العرض يتناول نقد المؤلفات الأدبية في الولايات المتحدة، إلا أنه يكشف أموراً مشتركة مع النقد في بلاد العرب، على ما اطلعت عليه. الكاتبة فيليبا ك. تشونغ، عالمة اجتماع ثقافي متخصصة في كيفية تحديد وتقييم القيمة: وهذا يشمل القيمة التي نخصصها للأشياء الاجتماعية (مثل الكتب واللوحات والمعرفة والآراء وما إلى ذلك) والمجموعات الاجتماعية (مثل الخبراء والفنانين، مجموعات الأقليات...). حتى الآن، كان تركيزها التجريبي على مراجعي الكتب كوسطاء في السوق الثقافية.

يستكشف هذا الكتاب كيفية انخراط مراجعي الأدب الروائي في المشروع المزدوج لبناء: 1) قيمة الروايات الجديدة في غياب المؤشّرات الموضوعية للجودة الجمالية، و2) شرعية أحكامهم المهنية بالنظر إلى ذاتية الذوق. تقول إنها ابتعدت عن الحديث في ما يجب أن تكون عليه مراجعة المؤلفات إلى التركيز العملي على التحديات التي يواجهها المراجعون أثناء القيام بعمل المراجعة الفعلي. يرتكز نهج فصول العمل إلى أنواع عدم اليقين التي يواجهها النقاد عند كتابة المراجعات، وكيف يستجيب النقاد لهذه الشكوك، وكيف يؤثّر ذلك في ما يفعله النقاد. تحدثت الكاتبة إلى أربعين من «نخبة النقاد» الذين نشروا مراجعات في الصحف والمجلات الرئيسية (معظمها أميركية) وسألتهم: كيف ولماذا دخلوا في مراجعة المؤلفات؟ وكيف فهموا أدوارهم وأهدافهم كمراجعين ومعتقداتهم حول «أخلاقيات المراجعة»، وأيضاً «لتحديد المراجعين الذين أعجبوا بهم أو لا يحبونهم وما وجدوه يستحق التقدير أو مسيئاً بشأن عمل أولئك المراجعين». علماً بأنها أخفت هويتها عمن قابلتهم.

من خلال أخذ القراء وراء الكواليس في عالم مراجعة الأدب، يستكشف مؤلفها الطرق التي يقيّم بها النقاد المؤلفات رغم الذاتية المتأصلة فيها، والشكوك المتعلقة بالمراجعة عندما يبدو أن أي شخص يمكن أن يكون مراجعاً. بالاعتماد على المقابلات مع النقاد الذين يكتبون في «نيويورك تايمز» و«لوس أنجلوس تايمز» و«واشنطن بوست»، على سبيل المثال، تتعمق الكاتبة في بحث تعقيدات عملية كتابة المراجعة، بما في ذلك الاعتبارات والقيم والمخاوف الثقافية والشخصية. تستكشف الكاتبة كيف يقترن النقاد بمهام المراجعة، ولماذا يقبلون هذه المشاريع التي تستغرق وقتاً طويلاً، وكيف يرون مؤهلاتهم الخاصة لمراجعة مؤلفات معينة، والمعايير التي يستخدمونها عند إصدار أحكام أدبية. تكتشف أنه على الرغم من أن القراء يهتمون بالمراجعين، إلا أنهم قلقون بشكل خاص بشأن الكُتّاب الذين يتلقون المراجعات، لأن هؤلاء هم على الأرجح أقرانهم الذين سيعيدون خدمات مماثلة في المستقبل، فإن مخاوف النقاد وإحباطاتهم عامل في استعدادهم أو إحجامهم عن كتابة مراجعات سلبية.

في وقت تتضاءل فيه فرص المراجعة التقليدية بينما تزدهر الأشكال الأخرى للمراجعة، أصبحت مراجعة الكتب كممارسة مهنية موضع تساؤل. يقدم المؤلف للقراء نظرة كاشفة على ردود فعل النقاد على هذه التحولات الهائلة وكيف يتم تحقيق القيم الأدبية من خلال جهودهم.

بعد الجزء الأول المخصص لعدم اليقين الإبستمولوجي، ننتقل إلى الجزء الثاني من المؤلف وهو عدم اليقين الاجتماعي، وهي منطقة مليئة بالمزالق وحقول الألغام التي يُضرب بها المثل لأن عدم اليقين الاجتماعي يشير إلى «عدم قدرة النقاد على التنبؤ بمدى استجابة أو رد فعل الآخرين ذوي الصلة (مثل المؤلفين والمراجعين الآخرين) على تقييماتهم».

الجزء الثالث والأخير يركز على ما يوصف بعدم اليقين المؤسسي، أو «النقص النسبي في الإجراءات، والإجراءات الروتينية، والهياكل التي تنظم تجارب النقاد وأنشطتهم كمراجعين». كما تعمل الكاتبة هنا على تفكيك هذا الأمر في ما يتعلق بكيفية تأثير الافتقار المذكور في تصورات النقاد الذاتية حول ما إذا كانوا مؤهّلين كنقاد أم لا. يرتكز هذا إلى عدم وجود معايير أو عمليات محددة لتحديد المؤهل للقيام بمراجعة الكتاب.

إن نقد المؤلفات أكثر من مجرّد تقرير عنه، والكاتبة كونها أكاديمية، صريحة تماماً بشأن هدفها، فهي تستخدم مقياساً دقيقاً لقياس عيوب ممارسة مراجعة المؤلفات. وهكذا، فإن مؤلفها هنا يكشف عن سلسلة من الأسئلة المشحونة التي تتعلق بالإكراه التجاري، والتقنيات غير القياسية للمراجعة والنهج التقويمي الذاتي، وهي تعطينا نظرة خاطفة على عالم النقاد والقيم الأدبية التي يقدمونها.

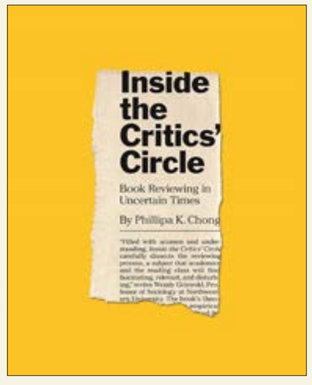

تحدثت الكاتبة إلى أربعين من «نخبة النقاد» الذين نشروا مراجعات في الصحف

Inside the Critics› Circle: Book Reviewing in Uncertain Times

سياسة خارجية

جسيكا تريسكو داردن المساعدات الأميركية تسهّل عنف الدولة

يناقش كتاب «المساعدة والإغواء: المساعدات الخارجية الأميركية وعنف الدولة» (منشورات جامعة ستانفورد ـ 2020) الادّعاء السائد بأن المساعدات الخارجية تساعد البشر على التغلّب على الفقر، وفي الوقت نفسه قد تكون مضيعة للمال والجهد. الكاتبة، جسيكا تريسكو داردن الأستاذة المساعدة في American University's School of International Service تناقش هذا الادعاء وما يرتبط به من عوامل اعتماداً على وثائق رسمية بما فيها تلك العائدة لوكالة الاستخبارات المركزية ومكتب التحقيقات الاتحادي، التي رفعت السرية عنها.

النقطة الرئيسة التي تناقشها الكاتبة في فصول هذا المؤلف الستّة هو كيف أن برنامج المساعدات الخارجية يسهّل عنف الدولة، وتقول إنه غير متماسك ويتأرجح باستمرار بين دعم الصالح العام وتعزيز أمن أميركا ومصالحها الدبلوماسية. لكن بعد سبعين عاماً من التنازلات، غالباً ما تؤدي المساعدات دوراً في دعم منتهكي حقوق الإنسان، لكن من دون فائدة سياسية واضحة. كما تناقش الرأي بأن المساعدة الغذائية أو المساعدة الإنسانية غير ضارة بطبيعتها وأن المساعدة العسكرية غالباً ما تكون ضارة، لكنها ترى أن الواقع العملي عكس ذلك في بعض الأحيان.

تقول الكاتبة إنّ للمساعدات الخارجية آثاراً سلبية عميقة في الدول المتلقية في بعض الأحيان، إذ تزداد احتمالات نشوب حرب أهلية وزيادة تمكين انتهاكات حقوق الإنسان، وقدرة المتلقين على تسليح المساعدات يمكن أن تزيد من طول الحروب وكلفتها.

تقول الكاتبة إنّها استخلصت ثلاث رؤى قائمة على الأدلة التي ينبغي أن تساعد في إعادة التفكير في مسألة المساعدات الخارجية وتقترح بعض المبادئ لتنشيط برنامج المساعدات الخارجية الأميركي ومنحه جوهراً إيجابياً.

1) من السهل على المستفيدين التلاعب بالمساعدات الخارجية، وخاصة المساعدات الغذائية، ذلك أن المساعدة الاقتصادية الأميركية ارتبطت باستمرار بزيادة عنف الدولة وانتهاكات حقوق الإنسان أثناء الحرب الباردة وبعدها. فالمساعدات الخارجية عرضة بشكل خاص للتحويل عندما يمكن استبدالها أو بيعها نقداً بسهولة؛ ويمكن الاستيلاء عليها من قبل الدولة أو الجماعات المسلحة وتوزيعها على مؤيديها فقط.

2) تقديم المساعدة الاقتصادية أو الإنسانية يمكن أن يسهم في استخدام الحكومة لقمع مواطنيها وتمكين انتهاكات حقوق الإنسان أو إطالة أمدها. فخلافاً للاعتقاد السائد، عند تقديم المساعدات الخارجية إلى الحكومات غير الآمنة سياسياً، يمكن أن تزيد في الواقع انتهاكات حقوق الإنسان، وتدعم عنف الدولة، وتطيل الحروب الأهلية. يتم ذلك من خلال البتين هما:

أولاً: تأثير الدخل: في بيئة سياسية مقيدة، مثل الحرب الأهلية، تحرّر المساعدات الخارجية الموارد التي يمكن لنظام متنازَع عليه أن يكرسها بعد ذلك لخدماته العسكرية والأمنية.

ثانياً: تأثير بناء القدرات: يتم تخصيص المساعدة بشكل مباشر للأجهزة العسكرية والأمنية للدولة، وتقدم مثالاً على ذلك أن الدعم الاقتصادي الأميركي للحكومة العسكرية السلفادورية أثناء ملاحقتها لحرب وحشية ودموية ضد التمرد اليساري في الثمانينيات غذى الحرب وأطال أمدها، وساهم بالتالي في قتل أو اختفاء أكثر من 75000 شخص على مدى اثني عشر عاماً.

3. تقديم المساعدة العسكرية قد يساعد في الواقع في دعم حقوق الإنسان، وليس في إعاقة ذلك. كما أنّها تزيد من الحرفية العسكرية وقد تقلل من احتمال انخراط الجنود في انتهاكات غير مهنية لحقوق الإنسان.

لذلك على صانعي السياسة الأميركية:

● الموازنة الجدية بين التكاليف والفوائد والآثار الأخلاقية للتدخل في السياسة والاقتصاد والمجتمعات للآخرين. وحيثما أمكن، تأكد من أن برامج المساعدة الأجنبية تتوافق مع مبدأ أنها لا تؤذي.

● جعل حقوق الإنسان والحريات نقطة محورية، وليس مجرد نقطة حوار، في سياسة المساعدة الخارجية.

● إعادة النظر في الترتيبات التي لا تدعم حقوق الإنسان وضرورة إعادة النظر في مقايضة طويلة الأمد مع الدول التي لا تلتزم بالمعايير الأميركية لحقوق الإنسان والديمقراطية حتى بعد عقود من الدعم الأميركي، بما في ذلك مصر والأردن وباكستان وإثيوبيا. على الرغم من أنه قد تسبب في كثير من الأحيان بضرر كبير في الماضي، إلا أن برنامج المساعدات الخارجية الأميركي المعاد تركيزه وتنشيطه لديه القدرة على أن يكون قوة كبيرة لتوسيع الحرية الإنسانية.

رغم أهمية بعض تحليلات الكاتبة واحتواء مؤلفها على إحصاءات مهمة، نأخذ عليها تجاهل تأثير المساعدات الأميركية لكل من العدو الصهيوني وقيادة ميليشيا رام الله وكيف أنها تساهم في تقوية اضطهاد الشعب الفلسطيني وقمعه. كما نأخذ على الكاتبة عدم أخذ وجهات نظر الذين عانوا جراء «المساعدات الأميركية» في الاعتبار.

كلمة أخيرة: لنتذكر أن الشيء المجاني الوحيد هو قطعة الجبن في مصيدة الفأر.

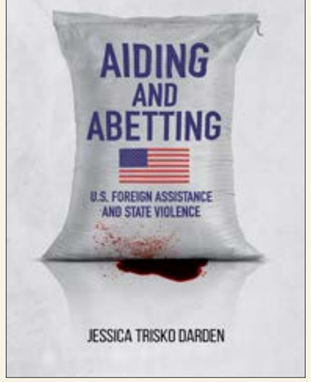

برنامج المساعدات يتارجح بين دعم الصالح العام وتعزيز امن اميركا

Aiding and Abetting: U.S. Foreign Assistance and State Violence

أنثروبولوجيا

الاحتجاج السياسي في السعودية... نظرة من الداخل

يحكي كتاب «مدافن رجال الدين: الفعاليات اليومية في السعودية» (منشورات جامعة ستانفورد ـ 2020) القصة الداخلية للاحتجاج السياسي في السعودية؛ على الأرض وفي الضواحي وفي مواجهة قمع الدولة المتزايد، ويتناول بالعرض والتحليل ظاهرتين عالميتين مرتبطتين ارتباطاً وثيقاً بالمملكة السعودية هما: الزحف العمراني والنشاط الديني. الكاتب، باسكال مينوريه حصل على درجة الأستاذية في جامعتَي «برينستون» و«هارفرد» والمحاضر في جامعة «برندايس» الأميركية، يقول: «ظهرت الضواحي السعودية بعد الحرب العالمية الثانية حيث فرّ المواطنون إليها من المدن المزدحمة. لقد تم تطوير الضواحي لتشجيع قيام مجتمع من المواطنين المطيعين والمعزولين، لكنها بدلاً من ذلك فتحت مساحات جديدة أمام العمل السياسي حيث حوّل النشطاء الدينيون بشكل خاص المنازل والمدارس والمخيمات الصيفية إلى موارد للتعبئة. بدعم من الشبكات الشعبية في الضواحي، فازَ النشطاء في الانتخابات المحلية ووجدوا فرصاً للاحتجاج على الإجراءات الحكومية حتى واجهوا موجة جديدة من القمع في ظلّ القيادة السعودية الحالية».

الكاتب الذي أمضى أربع سنوات في مملكة آل سعود في الأمكنة التي ظهر فيها النشاط الإسلامي اليوم للمرة الأولى، يروي ـ كونه شاهد عيان ـ قصص الأشخاص الذين يواجهون الدولة السعودية بنشاط، ويسلط الضوء على كيفية تنظيم الناس والاحتجاج حتى في خضمّ قمع الشرطة المتزايد.

قسّم باسكال مينوريه عمله إلى أربعة أجزاء: هي اليقظة الإسلامية، والضواحي السعودية، ومجموعات التوعية والمخيمات الصيفية، وترك النشاط الإسلامي في الخلف، وتضمّ الأجزاء مجتمعةً 24 فصلاً.

يغير هذا الكتاب الطريقة التي ننظر بها إلى النشاط الديني في المملكة السعودية، كما يقدّم حكاية تحذيرية: القمع المستمرّ من قبل النخب السعودية الذي يتم في كثير من الأحيان بتواطؤ المجتمع الدولي، يؤدي إلى قمع الحركات السياسية الشعبية مع عواقب وخيمة على البلاد والعالم. لذلك فهو يقول: علينا أن نفهم على نحو أفضل العلاقات المعقدة بين النشاط والإصلاح والقمع. لذلك فإن مشروعي هو فحص الغموض والتناقضات التي لا يمكن فصلها عن الحياة اليومية للنشطاء العاديين. لكن القول إن السعودية مقبرة لرجال دين لا يعني فقط أن الدولة، بتأسيسها ديانة رسمية، قد أجبرت رجال دينها وخطباءها على ارتداء سترة ضيقة، بل يعني أيضاً وجود علاقة حميمية بين الأمة والمقابر. فقد ولدت المملكة السعودية من خلال عملية تدمير قبور القديسين والأنبياء والشهداء في عشرينيات القرن الماضي. فبعدما غزا عبد العزيز مدينتَي مكة والمدينة المقدستين، هدم جيشه مدينة الموت في البقيع وهي مقابر دُفن فيها أقارب النبي محمد. كان الدمار شاملاً. القبور لم "تدمّر عرضاً بل جُرفت من امكنتها وأرضها صغيرة، وأصبحت السعودية مقبرة للمقابر» وفق ما كتبه رحالة أوروبي مرّ بالمدينة المنورة في عام 1926.

المقابر الحديثة في السعودية محاطة بجدران وفارغة: لا شواهد قبور، ولا نقوش. فقط حصى أو رمل أو تراب، ولتمييز كل قبر، ثمة حجر عار. في بعض المدن، تقوم الخدمات البلدية «بتطهير» المقابر كل عامين لإفساح المجال أمام الهياكل الجديدة؛ وفي مكة يتم دفع الجثث جانباً، وخلطها بعظام أكبر سناً كل عام، وأصبح الدفن بالقرب من المسجد الكبير سلعةً ثمينةً مثل المدن التي تحيط به. فالمقابر في السعودية عابرة وخاضعة لأسعار السوق.

المقبرة هي المكان الذي يُلقى فيه الموتى بعيداً، ويدفعون نحو محيط المدينة. لكن المدن المتنامية الآن تحيط بالمقابر، وأصبحت الأطراف المركز. إن كون السعودية مقبرة لرجال دين يعني أن رجال الدين أيضاً يتعرضون باستمرار لخطر الموت المجازي أو الفعلي. وقد أوقفتهم الدولة في حالة ما بين الحياة والموت، وحكمت عليهم أن يكونوا «الموتى الأحياء». وهذا يعني أيضاً أن المكان ينتظر انتعاشاً، وأن سياساته في حاجة إلى إعادة سحر. لا عجب أن الحركة الاجتماعية والسياسية الرئيسية في البلاد أطلقت على نفسها اسم «الصحوة». كان هناك كثير مما يجب إيقاظه في عالم الموت الذي أنشأته عائلة آل سعود بدءاً من شوارع الرياض نفسها التي قضى عليها الأمراء والمخططون والمطوّرون.

يوضح الكاتب أنه لا يمكن النظر إلى النشاط الإسلامي، في مملكة آل سعود أو في أي مكان آخر، على أنه عمل مؤقت يقف في منتصف الطريق بين التقليد والحداثة، أو كحلّ وسط من شأنه أن ينحل عند ظهور العقلانية الليبرالية. ويصل إلى استنتاج أن الحركات الإسلامية ليست بقايا تقاليد سياسية قديمة، على وشك أن تبتلعها موجة ديمقراطية تجعلها عفا عليها الزمن أو تقوضها دولة استبدادية تعتقل وتعذب وتدفن. والحركات الإسلامية ليست آخر حشرجة فولكلورية للمخلوق المضطهد. لقد قاوم النشطاء الإسلاميون «السعوديون» الاندماج العنيف لبلادهم في الإمبراطورية الأميركية، من تجارة النفط العالمية إلى تجارة الأسلحة العالمية ومن الحرب الباردة إلى الحرب على الإرهاب. في مواجهة هذا العنف المطلق، لم يكن الاستيلاء على الدولة خياراً على الإطلاق. كان التنظيم في شروخه، أي أن الصحوة الإسلامية ربما لم تمت، لكنها معطّلة، وقد تطفو على السطح عندما تحين الظروف.

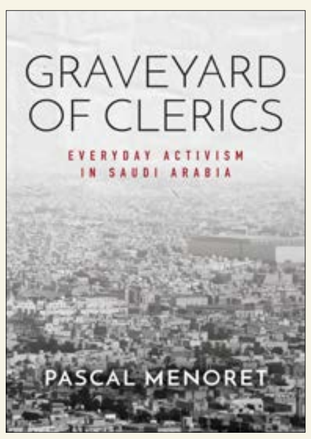

ولدت السعودية من خلال عملية تدمير قبور القديسين والأنبياء والشهداء في عشرينيات القرن الماضي

Graveyard of Clerics: Everyday Activism in Saudi Arabia

أوراق

جبل التجربة

«جبل الأربعين» في أريحا

زكريا محمد*

صدر لي قبل أيام كتاب مختارات شعرية عن دار «خطوط وظلال» في عمّان في الأردن بعنوان «جبل التجربة». وهي مختارات من مجموعاتي الثلاث الأخيرة (زراوند، علندى، كشتبان). بذا فهي لا تمثّل المجموعات الست التي سبقت. وقد اخترت اسم «جبل التجربة» من واقعة أنّ جزءاً لا بأس من قصائد المجموعات الثلاث انبثق من أجواء أريحا ومن جبلها «جبل التجربة» أو «جبل الأربعين» كما يسمّى كذلك. واسم الجبل أتى من الاعتقاد بأن الشيطان جرّب المسيح فوق هذا الجبل مدة أربعين يوماً. وكنت أردت في البدء أن اسمي المختارات باسم «جبل الأربعين»، لكنني خشيت أن يُفهم الرقم 40 على أنّ له علاقة بالعمر، وأنا تخطّيت الأربعين منذ زمن طويل جداً. لذا انتهيت إلى أن أسمي المختارات باسم «جبل التجربة».

والاسم يلعب في الواقع لعبة مزدوجة. فهو يشير من جهة إلى تجريب المسيح على جبل الأربعين، أي إلى التجربة الدينية- التصوفية، لكنه يشير، من جهة ثانية، إلى التجربة الشعرية. فثمة أيضاً جبل أربعين للشعر، يصعده الشاعر خطوة خطوة، كي يُختبر، ويُختبر شعره، فوقه. إذ لا بدّ من شيطان ما يختبرنا، أو يوقعنا في التجربة، دوماً.

هذه هي فكرتي عن العنوان والمجموعة. لم أرغب في تقديم مختارات كاملة من شعري. كما لم أستسِغ من قبل جمع شعري في «أعمال كاملة» كما جرت العادة. أردت العبور في طريق فرعيّ مختلف حين عُرضت عليّ فكرة المختارات. وقد بدا لي أن أفضل ما يمكن أن أعمله هو تقديم مختارات من مجموعاتي الثلاث الأخيرة. فهي تشكل وحدة ما. كما أنها تشكّل مرحلة مختلفة من تطوري الشعري.

وتقليد أن يصنع الشاعر مختارات من شعره بنفسه ليس بعيداً في الزمن في الشعر العربي. إنه تقليد حديث. ويمكن عزوه إلى أن دور النشر عندنا أضعف من أن تعمل على المختارات الشعرية غير الشخصية. فمثل هذه المختارات مكلفة. فهي تقتضي أن يعمل ناقد ما عليها، وأن تدفع له الدار مقابل ذلك. لهذا لم يزدهر مثل هذا التقليد عندنا. ذلك أنه أسهل على دور النشر، وأقل كلفة، أن تطلب من الشاعر أن يصنع هو بيده مختارات من شعره، وأن يرسل لها ما أختار كي ترسله إلى المطبعة.

ولم يكن لدينا تقليد المختارات الشخصية في الماضي. كان التقليد أن يجمع الشاعر شعره في كتاب يسمى ديواناً كما هو الحال مع «ديوان المتنبي» أو أن يجمعه له أحد ما بعد رحيله، كما حصل مع الشعر الجاهلي. وحسب علمي، لم يقُم شاعر عربي قديم بعمل مختارات من شعره. هناك بالطبع أبو العلاء الذي خرج عن التقليد وجمع شعره في ديوانين «سقط الزند» و«لزوم ما لا يلزم». بل قل ثلاثة دواوين إن اعتبرنا قصائد «الدرعيات» كياناً خاصّاً. لكن يمكن القول بأن جمع الشاعر لشعره في «ديوان» يعدّ نوعاً من النقد. ذلك أنّ صنع الديوان يقتضي شيئاً ما من التصفية. فالمتنبي لم يجمع كل ما كتب في ديوانه. لقد أسقط شيئاً ما منه. أي أنه عمل تصفية ما. لكننا لا نعرف مقدار التصفية، ولا كيف جرت. ولا بدّ أن غيره فعل ذلك. لكنّ أحداً لم يكتب عن هذه التجربة.

> لم يقُم شاعر عربي قديم بإنجاز مختارات من شعره باستثناء أبو العلاء

وكان لدينا تقليد آخر هو تقليد المختارات من شعر الآخرين يستند إلى الموضوع، ويقوم به الشعراء لا النقاد مثل مختارات الحماسة: «حماسة أبي تمام، وحماسة البحتري». لكن هذا التقليد لم يُتابع. وهناك تقليد آخر لم يُتابع هو تقليد جمع النفائس (المعلقات). لقد حددت المعلقات- النفائس مرة واحدة وإلى الأبد. ولم يعد بالإمكان اختيار معلّقات أخرى. لقد أُغلق باب المعلقات على الأقل بالنسبة للشعر القديم. ذلك أن بإمكان أحد ما أن يختار لنا معلقات من الشعر الحديث نظرياً.

غير أن تقليداً آخر نشأ حديثاً وهو تقليد المختارات العامة من الشعر العربي مثل «مختارات أدونيس» و«مختارات الجواهري». وهو تقليد جميل يقوم على استخراج زبدة هذا الشعر من وجهة نظر محددة. ولا أدري لِمَ لَمْ يُتابَع هذا التقليد الجميل أيضاً. كأن هناك شعوراً بأن هذا التقليد يُصنع مرة واحدة أو مرتين في أقصى مدى. أما أنا فأفترض أن على كل جيل شعري أن يقدم مختاراته من الشعر العربي السابق. بل ربما يجب أن يكون جزءاً من حكمنا على كل جيل شعري مرتبطاً بمختاراته من الشعر القديم. ولعل على الجوائز الشعرية كذلك أن تضع هذا في اعتبارها دوماً. أي أن تعتبر المختارات جزءاً من عملية تقييم الشاعر.

في كل حال، فأن يختار الشاعر لنفسه يعني أن ينتقد نفسه. أو قل أن يعمل تصفية لشعره. وهذه ليست مهمّة سهلة أبداً. فهي تقتضي أن يتأمل الشاعر شعره، وأن يتبع بوعيه خيط تطوره الشعري، وأن يعكس هذا الوعي في مختاراته. ومن المفترض أن يكتب مقدمة تشرح هذا الوعي.

وهذه المختارات حصيلة تأمل في شعري، وحكم بأن المجموعات الثلاث اختلفت جدياً عما قبلها. أي أن شعري فيها تغيّر، أو تطوّر. لكنني لم أكتب مقدمة لهذه المختارات تشرح ذلك. كان المطلوب أن تصنع المختارات بسرعة، وأن ترسل للمطبعة بسرعة. ولعل هذه الكلمات أن تكون مقدمة صغيرة متأخرة.

لكن أسوأ ما في المختارات الشخصية هو أن الشاعر ضنين بشعره في آخر الأمر. أي أنه يحاول أن يوسع مختاراته ما أمكنه، وأن يحذف أقل ما يمكن من قصائده. هذا رغم أنه يمكن اختصار أكبر شاعر بكتاب من سبعين صفحة، إلا إن كان شاعراً عبقرياً. بل إنه حتى يمكن اختصار كل شاعر بعشر قصائد من شعره فقط.

بذا فمختارات الشاعر لنفسه تظلّ، رغم أهميتها، عوراء.

* شاعر فلسطيني